وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر * بسكرة*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ قطب شتمة ـ

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة:

مقاومة الشيخ بوعمامة

1881 - 1908

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالبة:

ليندة غويل

إشراف الأستاذ:

سالم كربوعة

السنة الجامعية: 2014- 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين صنعوا مجد وعزة هذا الوطن إلى روح كل شهيد و كل مجاهد صنديد

إلى من حمل قلما، رفع علما لأجل أن تحيى الجزائر

إلى من علمتني أن العلم تواضع، والعبادة إيمان، والنجاح إرادة، والحياة عمل

أمي الغالية

إلى الكنز الغالي في حياتي، قدوتي وسندي في مشواري الدراسي، صاحب القلب الكبير

أبي العزيز

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلمع بذكراهم فؤادي إلى نبراس الحياة أخواتي:

سميرة. وهيبة. نورة . سادة

إلى من أكون لهم الخالة: خليل. يحيا. تقوى

إلى رفيق دربي وحياتي زوجي "عادل"

إلى كل الأهل والأقارب وأخص بالذكر ابن عمي: زيدان

إلى من تحلّوا بالإخاء، وتميزوا بالوفاء والعطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير

صديقاتي: هالة، رتيبة، ابتسام

إلى جميع زملائي في التخصص الذين كانوا معي سائر الوقت

إلى نبع العطاء أساتذتي كل باسمه

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

شكر وعرفان

أولا الحمد والشكر لله الذي وفقني على إتمام هذا البحث، ورزقني العزيمة لإنجازه.

وكل شكري وتقديري إلى أستاذي المشرف "سالم كربوعة" الذي كان عونا لي بصبره

وحلمه ومساعدته، والذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه وتشجيعه المتواصل لي

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الفاضل "لخميسي فريح" على توجيهاته القيمة التي

زودني بها طيلة إنجاز هذا البحث، دون أن ينفوتني أن أتقدم بشكري إلى

كافة أساتذة التاريخ لجامعة محمد خيضر الذين أمدوا لنا يد المساعدة

طيلة الفترة الدراسية

وإلى كل من مد يد المساعدة من قريب أو من بعيد

أتقدم بشكري الجزيل

وجزاهم الله كل الخير

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تح	تحقيق
ج	جزء
ط	طبعة
مج	مجلد
ع	عدد
(ب، د، ن)	بدون دار نشر
(ب، ب، ن)	بدون بلد نشر
(ب، س، ن)	بدون سنة نشر
ص	صفحة

مقدمة

كانت الجزائر طيلة ثلاثة قرون من أعظم القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط، تتمتع بمكانة دولية، وهيبة عالمية، متصدية بذلك لكل الأخطار الخارجية والحملات الصليبية، وذلك نتيجة لقوتها البحرية والعسكرية، والتي استطاعت بفضلها أن تحمي حدودها وأراضيها من كل الاعتداءات الأجنبية، وخاصة من طرف الدول الأوروبية التي انتهجت كل السبل والأساليب لطمس معالمها، والاستيلاء عليها.

لكن يبدو أن هذا الاعتقاد في قوة الجزائر لم يدم طويلا، فبحلول القرن التاسع عشر، وبعد معركة نافرين 1827، وتحطم الأسطول الجزائري، وتأكد ضعف الدولة العثمانية، وتحول الأوضاع الدولية لصالح الدول الأوروبية، استغلت فرنسا التي كانت أكثر الدول تحمسا للسيطرة على الجزائر هذه الأوضاع والظروف المحيطة بها، فأعلنت الحصار عليها، وإثر حادثة المروحة تم احتلال الجزائر وأجبر الداي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م، ومن هنا بدأت في تنفيذ سياستها الاستعمارية بممارستها لكل أساليب السيطرة والهيمنة فانتهكت كل المبادئ الإنسانية، وقتلت شعبها، ودنست مقدساتها الدينية، ونهبت ثرواتها واستغلت خيراتها، فتمكنت القوات الفرنسية من بسط نفوذها في كامل القسم الشمالي لتوجه أنظارها إلى القسم الجنوبي، الأمر الذي أدى إلى ظهور ردود أفعال جزائرية مختلفة من المقاومة السياسية والمقاومة المسلحة، هاته الأخيرة التي قادها زعماء دينيون والتي بدورها تنقسم إلى نوعين:

. **المقاومة المسلحة المنظمة:** التي تشمل مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، ومقاومة الحاج أحمد باي في الشرق، التي تمكنت السلطات الفرنسية من الانتصار عليهما الواحد بعد الأخر.

. **المقاومة الشعبية غير المنظمة:** وتطلق على تلك الانتفاضات المتعددة التي ناهضت الاستعمار عقودا طويلة خلال القرن التاسع عشر، والتي يزيد عددها عن 160 مقاومة شملت

معظم مناطق الوطن، واستغرقت حتى بداية القرن العشرين، مما يبين تلك الهوة التي تفصل بين شعبين وحضارتين مختلفتي المصادر والخصائص، كما أن زعمائها كانوا شيوخا لطرق صوفية.

ومن بينهم الشيخ بوعمامة، الذي كان رجلا صوفيا مجاهدا قائدا للمقاومة التي اندلعت سنة1881، انطلاقا من المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر، فهي إحدى تلك المقاومات الشعبية المسلحة التي كانت صدمة للفرنسيين الذين ظنوا أن عهد المقاومات قد ولى، وبخاصة بعد السبعينات من القرن التاسع عشر.

أسباب اختيار البحث:

وقع اختيارنا على هذا الموضوع باعتبار أن هذه المقاومات تمثل محطة هامة في مقاومة سكان المنطقة بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة للاحتلال الفرنسي، إلا أنها تكاد تكون مجهولة لدى الكثير من الباحثين، لذلك تعتبر من المواضيع التي تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والتعمق في مجال البحث والدراسة.

– الرغبة في تسليط المزيد من الضوء على هذه المقاومة التي يعتبرها البعض مجرد أحداث عابرة وليست ثورة منظمة وذات قيادة.

– لما لشخصية بوعمامة من أهمية في تاريخ الجزائر التي تزعمت مقاومة شعبية قامت للدفاع عن الهوية الأصيلة للشعب الجزائري، فأردنا محاولة إماطة اللثام عن خبايا هذا القائد والمجاهد الفذ الذي لم يحضى بالدراسة الوافية رغم ما قام به من أعمال.

– نجد أن هذه المقاومة أقل حظا من حيث عناية الدارسين واهتمام الباحثين لها، فالأبحاث المختصة لا تولي لأحداثها نفس العناية التي توليها لمقاومتي المقراني والأمير عبد القادر مثلا، ما جعلنا إعطاء صورة أكثر وضوحا لهذه المقاومة.

أهداف البحث:

هدف هذه الدراسة هو إبراز لبطولة الشعب الجزائري الذي لم يرضى بالاحتلال الأجنبي، فلم يستكن ولم يسترح يوما إلا ليعد العدة للنهوض من جديد دفاعا عن مقوماته.

– كما تبرز لنا هذه الدراسة مساهمة الطرق الصوفية في الجزائر في قيادة الجماهير الشعبية في جهاد الغزاة أعداء الوطن والدين، وبذلك تمسك رجال الصوفية بأحد مقومات طرقهم الصوفية وهو المرابطة أي الجهاد في سبيل الله باعتبار الشيخ بوعمامة زعيما للطريقة الشيخية.

– التعرف على شخصية الشيخ بوعمامة.

– إيضاح الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذه المقاومة ومعرفة المراحل التي مرت بها وأهم النتائج المترتبة عن هذه المقاومة.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في تناول فترة مقاومة من المقاومات الشعبية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري وهي مقاومة الشيخ بوعمامة من 1881 إلى غاية 1908م التي تميزت عن بقية المقاومات باعتبارها أطول المقاومات ذلك أنها دامت قرابة ربع قرن، وعليه سنحاول معرفة مدى مساهمة مقاومة الشيخ بوعمامة في التصدي للاستعمار الفرنسي؟ وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

– ماهي الدوافع الحقيقة للاستعمار الفرنسي عند احتلال منطقة الجنوب الغربي الجزائري؟

– كيف كانت أوضاع منطقة الجنوب الغربي الجزائري قبل اندلاع مقاومة 1881م؟

– من هو الشيخ بوعمامة؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى اندلاع ثورته؟ وما أهم المراحل التي مرت بها؟ وفيما تمثلت نتائج هذه المقاومة؟

منهجية البحث:

إن طبيعة الموضوع الذي يتناول مقاومة الشيخ بوعمامة 1881- 1908 يتطلب الاعتماد على منهجين:

أولا: المنهج التاريخي الوصفي: لأن طبيعة الموضوع تفرض استعراض الأحداث التاريخية ومسيرة المقاومة وتتبع أهم مراحلها بكل تفاصيلها في إطارها الزماني والمكاني.

ثانيا: المنهج التاريخي التحليلي: وهذا لأن دور الطالب لا ينتهي عند السرد والوصف المجرد للأحداث وجمع المادة التاريخية، بل دراستها وتحليلها ونقدها ومقارنتها للوصول إلى تفسير تاريخي وبالتالي الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

خطة البحث:

سمحت لنا المادة العلمية التي جمعناها حول الموضوع بتقسيمه بعد المقدمة إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة متبوعة بالملاحق.

- تناولنا في **التمهيد:** الأوضاع العامة في الجزائر قبل سنة 1881 حيث كانت البلاد تعيش وضعا مأساويا، فهناك غزو وإرهاب ومطاردة من قبل الفرنسيين للجزائريين، إلى جانب سياسة التفقير والتفرقة بين أفراد العائلة، وغلق المدارس العربية وتعويضها بمدارس للغة الفرنسية ومحاولات التنصير.

- **أما الفصل الأول:** والذي عنون بالاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري، فتناولنا فيه التعريف بالمنطقة التي وقعت على ترابها مقاومة بوعمامة، وذلك بإعطاء لمحة جغرافية من حيث الموقع، التضاريس، المناخ، والغطاء النباتي، وكذا النشاط البشري، كما قمنا بتقديم نبذة تاريخية عن المنطقة، ثم تحدثنا عن دوافع فرنسا من توسيع إمبراطوريتها الاستعمارية وترسيخ نفوذها واحتلالها للجنوب الغربي وخاصة منها العوامل الاقتصادية التي أدت بها إلى استغلال

ما يمكن استغلاله من خيرات هذه المنطقة الشاسعة، كما تعرضنا لأهم المشاريع التوسعية الاستعمارية بالمنطقة، ثم ذكر الأوضاع العامة للمنطقة قبل 1881م.

أما الفصل الثاني: فخصص لدراسة شخصية الشيخ بوعمامة من مولد، ونسب، ونشأة، ومكانة بين القبائل، وكيف كانت علاقته مع قومه وأبناء عمومته، ثم تطرقنا إلى نظرة بعض المعاصرين للشيخ أمثال أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي وإسماعيل بن عودة المزاري اللذان نظرا إلى شخصية الشيخ نظرة مختلفة بأنه مجرد طمّاع في السلطة وأنه يعمل لمصلحته.

أما الفصل الثالث: والذي يعتبر جوهر الدراسة فقد خصص للمقاومة الشعبية المسلحة التي أعلنها الشيخ بوعمامة سنة 1881، فبداية تحدثنا عن أسباب هذه المقاومة من أسباب داخلية وأخرى خارجية، ثم تطرقنا إلى الاستعدادات التي قام بها الثوار لتفجيرها، ثم المراحل التي مرت بها المقاومة والتي مرت بمرحلتين أساسيتين وهي المرحلة العسكرية 1881- 1883 والمرحلة السياسية 1883- 1908، وأخيرا تم التطرق لعوامل فشل المقاومة وأهم النتائج المترتبة عنها.

نظرة على أهم المصادر والمراجع:

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على العديد من **المراجع** أكثرها أهمية: - كتاب عبد القادر خليفي بعنوان: "المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة" حيث قام بدراسة هذه المقاومة دراسة تفصيلية وبكل موضوعية، كما أنه قام بذكر أحداث لا توجد في مراجع أخرى وذلك من خلال اعتماده على المصادر الأرشيفية، فقد قدم لنا معلومات جد مهمة والتي استفدنا منها في الفصل الأخير.
- كتاب عبد الحميد زوزو بعنوان: "ثورة بوعمامة" بجزأيه الأول والثاني، عالج في الجزء الأول الجانب العسكري للثورة 1881- 1883 والجزء الثاني حاول فيه الإحاطة بالمرحلة الثانية من الثورة والتي يطلق عليها بالمرحلة السياسية 1883- 1908 حيث يحتوي على مجموعة من الملاحق والخرائط المهمة وكذلك الرسائل الخطية بين بوعمامة وشيوخ القبائل من جهة والسلطات الفرنسية من جهة أخرى وهي رسائل في غاية الأهمية والقيمة التاريخية.

كما استفدنا كثيرا من كتابات إبراهيم مياسي، وذلك لتطرقه للموضوع بشكل مفصل، ولأنه مختص في تاريخ الجزائر عامة ومنطقة الجنوب الغربي خاصة.

أما بالنسبة **للمصادر** فقد اعتمدنا على المصدر الذي كان بعنوان:

(Le Sahara Algérien) والذي أفادنا كثيرا في المجال الجغرافي من خلال التعريف بمناطق الجنوب الغربي الجزائري.

صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث تتمثل خاصة في قلة المصادر التاريخية المتخصصة في الموضوع التي تدرسه بعمق، وكذلك قلة الوثائق التاريخية لأن دراسة مثل هذه المواضيع تحتاج الإطلاع على الأرشيف الفرنسي.

– إضافة إلى التضارب في المعلومات في هذه المراجع، وتداخل الأحداث والاختلاف في التواريخ والإحصاءات فيما بينها، مما صعب في كثير من الأحيان عملية التخلص من ظاهرة التكرار.

وفي ختام المقدمة أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف "سالم كربوعة" على إشرافه وإرشاده لي في كل مراحل إنجاز مذكرتي، على أمل أن أوفق في هذه الدراسة ولو بالقدر القليل.

عرفت الجزائر منذ سنة 1830م أبشع استعمار أوروبي عرفه التاريخ، حيث تعرضت لاحتلال عسكري من طرف القوات الفرنسية بعد أن اختلفت الأسباب وقدمت تبريرات واهية لعملية الاحتلال، حتى تضفي الشرعية على استعمارها للجزائر، للعمل على التوغل والتوسع داخل البلاد، فيعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر تجربة خاصة وأسلوبا متميزا في فرض الهيمنة الأوروبية على أحد الأقطار الإسلامية، فبغض النظر عن كونه يقوم على الآلة العسكرية ويستند إلى سياسة استيطانية ويعمل على الأسس الاقتصادية للبلاد الجزائرية، فإن هذا الاستعمار من حيث منهجيته وطرقه يشكل ظاهرة فريدة، بل نموذجا خاصا في تعامل قوة أوروبية مع كيان آخر يتناقض معها في التوجهات ويختلف عنها في القيم الحضارية[1].

فبعد أن استقر رأي السلطات الفرنسية على البقاء في الجزائر ومواصلة الاحتلال، عمل ضباطها على إقبال مختلف السبل لإخضاع البلاد وتحويلها إلى مستعمرة مندمجة مع فرنسا ومن بين هذه الأساليب نذكر:

سياسة الإفقار والضغط الاقتصادي، وذلك من خلال منع التبادلات التجارية بين مختلف القبائل وتضييق الخناق على التجار، وإغراقهم بالقروض الربوية وإثقال كاهل الأهالي بمجموعة من الضرائب والتي برزت منذ بداية الاحتلال من خلال المرسوم الصادر في 17 جانفي 1845م، الذي حدد مجموعة من الضرائب مع استحداث ضريبة جديدة خصت عمال قسنطينة والقبائل والجنوب الخاصة بالنخيل، ولقد طبّقت هذه الأساليب خصوصا مع الأهالي الذين ثبت في حقهم المشاركة في أيّة مقاومة شعبية ضد التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري[2].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق(مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)**، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص 24.

[2]- رضوان شافو، **جوانب من السياسة الاستعمارية بالصحراء الجزائرية من خلال تقارير السلطة الفرنسية والوثائق الأرشيفية**، دار قانة، الجزائر، 2014، ص 53.

ومثال على ذلك ولاية ورقلة التي لم تَسْلَم من أسلوب فرض الضرائب على الرغم من محدودية إنتاجها الفلاحي ومستواها المعيشي المتدني، مما دفع بالسكان من كل عام إلى بيع أجزاء من أراضيهم الفلاحية لتسديد الضرائب، وأهم الضرائب التي فرضت على هؤلاء: ضريبة اللزمة، ضريبة الزكاة، العشور...، وأمام ارتفاع هذه الضرائب فما كان على أهالي ورقلة إلا البحث عن حلول لتسديد ضرائبهم[1].

ونتيجة لذلك عجز الأهالي عن تسديد ديونهم فأصبحت أراضيهم المرهونة ملكا للدائن في ظرف زمني قصير، وهدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ الساعات الأولى من احتلالها هو الاستيلاء على أراضي الجزائريين الفلاحية وتسليمها للمعمرين القادمين من مختلف البلدان الأوروبية، لذلك قامت على بذل كل محاولة لجعل الوجود الفرنسي في الجزائر شرعي، بحرمان الجزائريين من أراضيهم وتهجيرهم وإغراقهم بعدد كبير من الأوروبيين، إدراكا منها بأن الأرض هي العنصر الأساسي اللازم لتنفيذ مشروعها الاستيطاني ولأن استقلال الكولون في الأرض وارتباطهم بها كوطن وكمصدر للرزق هو السبيل الوحيد لتحقيق الاستيطان[2].

ففي 16 جوان 1851م تمت المصادقة على القانون المتعلق بالملكية في الجزائر، الذي يؤكد أن الملكية حق مصون للجميع دون تمييز بين الملاك من الأهالي والملاك الفرنسيين ولكن بعد سنوات اتخذ قرار تعسفي سنة 1863، وذلك بحصر الأراضي وتحديدها بهدف تلبية متطلبات التوسع في استعمار البلاد[3]، وعلى ضوء هذه القوانين استولى المعمرون على الأراضي الفلاحية متبعين في ذلك سياسة تهجير السكان وطردهم من ديارهم وأراضيهم من

---

[1]– رضوان شافو، **المرجع السابق**، ص 54.

[2]– عدة بن داهة، **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830– 1962**، ج1، وزارة المجاهدين للطباعة، الجزائر، 2008، ص 103.

[3]– مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 14.

بعض القرى، وذلك من أجل ضمان اليد العاملة لخدمة أراضيهم[1]، ونتيجة لذلك أصبحت غالبية الجزائريين تعيش على أراض فقيرة، مما اضطر قسما كبيرا من السكان تحت وطأة الحاجة إلى العمل في مزارع المعمرين كأجراء في أراضي كانت ملكا لآبائهم وأجدادهم، وتحولت جموع كثيرة منهم بدافع الفاقة والفقر إلى ضواحي المدن الكبرى لتعيش الحرمان في أحياء فقيرة وتجمعات قصديرية[2].

فقد تركزت السياسة الاقتصادية للكولون أساسا على الصناعة الإستخراجية وعلى زراعة المضاربة التي تخصص كل إنتاجها للتصدير، فنجد أن الزراعة الموجهة نحو الخارج غير منخرطة في السوق الداخلية وشديدة التبعية للسوق الفرنسية بل كانت لصالح فرنسا تماما، وأيضا حال الصناعة ليس بأفضل من الزراعة فقد تركزت الجهود الاستعمارية على جهة النشاطات في استخراج المواد المنجمية التي يجري نقلها نحو الموانئ القريبة من مراكز استغلالها، ومن جهة أخرى بالنشاطات الآيلة إلى الصناعات التي تحد سوقها لدى السكان المسلمين لاسيما ما يتعلق بالمأكل والسكان[3].

ولكن لم يكتفي الفرنسيون بتلك المحاولات التي جمعت بين السلب والنهب، بل لجئوا إلى سياسة الإبادة الجماعية، فقد كان دخولهم إلى أيّة منطقة من مناطق الجزائر معناه دخول التقتيل والتشريد والفقر بعد أن صرّح الجنرال "كلوزيل" بقوله: "إني أمرت جنودي بالتخريب وحرق كل من يعترض طريقهم"، وقد ابتدأ هذا الأسلوب بتصفية قبيلة العوفية، إذ أوقع بها جنود

---

[1]- رضوان شافو، **المرجع السابق**، ص 62.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 30.

[3]- صالح عوض، **معركة الإسلام الصليبية في الجزائر 1830- 1962(دراسة تحليلية)**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر 1989، ص ص: 223- 224.

الجنرال "روفيغو" الحاكم العسكري للجزائر، الذي ارتكب ضد سكانها العزل النائمين مجزرة رهيبة، فقتل ما بين 80 و100 فرد منها[1].

ومن السياسات التي اعتمدتها أيضا سياسة "فرق تسد"، حيث ارتأت تطبيقها بهدف التحكم في رقاب الشعوب المغلوبة على أمرها، لأنها الأسلوب الناجع لضرب القبائل الجزائرية بعضها ببعض وإذكاء روح العداوة والفتنة بينها، حتى تسهل السيطرة والهيمنة عليهم[2]، وفي هذا المجال يقول الجنرال "دي بورمون" قائد الحملة الفرنسية سنة 1830م: "إن مثل هذا العمل هو الذي يجعل لنا التسرب إلى الداخل، ويمكّننا من تشتيت صفوفهم شيئا فشيئا حتى ينفجر بينهم الشقاق"[3]، ومن أجل كسب العائلات والقبائل الجزائرية الكبرى في صف السلطة الفرنسية أسندوا إلى بعض أفرادها الوظائف والمناصب والقيادات، وأغدقت عليهم المال والجاه، وقد برزت في الجنوب الجزائري عائلات متنافسة على السلطة كعائلة "بوعكاز"* "وابن قانة"** وغيرها[4].

وبأسلوب التفرقة هذا والاستيلاء على ممتلكات الجزائريين والمضاربات الأوروبية العديدة وتدمير المحاصيل في سنوات(1845- 1846- 1847) من طرف الجراد، وآفة الكوليرا في سنوات 1849-م1850، فكل هذه كانت عوامل قد تسببت في أزمات الأوساط الجزائرية وفي

---

[1]- محمد عيساوي ، نبيل شريخي، **الجرائم الفرنسية أثناء الحكم العسكري 1830-1871**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 136.

[2]- رضوان شافو، **مرجع سابق**، ص 46.

[3]- عبد الله شريط ، محمد الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 206.

* تنحدر جذورها من بني هلال وهي أسرة عريقة في المنطقة، تميزت بالشرف والشجاعة، أشهر زعمائها "فرحات بن سعيد". أنظر: شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العمري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن 19م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009، ص 16.

** تعود جذور هذه العائلة إلى قرية كوكو بجبال جرجرة، أين تعيش امرأة اسمها قانة، وبهذا أصبح أبنائها وأحفادها يلقبون "بن قانة". أنظر: شهرزاد شلبي، **نفس المرجع**، ص 17.

[4]- رضوان شافو، **مرجع سابق**، ص 46.

تراجع ديموغرافي مزعج، فصارت الوضعية منذرة بالخطر خاصة ابتداء من سنة 1866م (عام المجاعة)، وذلك لأسباب منها: بيع القمح من مطامر الشمال خوفا من الاضطرابات بعد 1860م، وحصاد سيء عام 1865م وجفاف مروع عام 1866م مصحوب بمرور الجراد و التهديد بالآفة وزلزال 1867م، فوضعت المجاعة أوزارها ووصل الناس إلى أكل الفطريات والعرق وقشور الأشجار والأوراق، كما تعددت الآفات: الكوليرا، التيفوس، الإسهال والجذري...إلخ، ولم تتحسن الحالة إلا في سنة 1869م، فهذه السنوات العويصة قد تضاعفت خطورتها بلا مبالاة السلطات الاستعمارية التي لم تحارب كما ينبغي هذه الكوارث، وبذلك كان الوضع الاجتماعي مزريا[1].

أما بالنسبة للوضع الديني والثقافي فقد اتجهت السياسة الفرنسية من حالات الإبادة والتدمير والنهب إلى إصدار القوانين التي تعمل على دمج وفرنسة شعب الجزائر المسلم، وبالتالي كانت الحملة الفرنسية على الجزائر حملة صليبية فكان شعارها "إضاءة أرض الجزائر بالإنجيل ينبعث من هناك إلى أرجاء إفريقيا"، وكما قال الكاردينال "لافيجري": " علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا بدولة مسيحية تضاء أجزائها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل... تلك هي رسالتنا الإلهية"[2]، فانتشر التبشير انتشارا واسعا من خلال تأسيس المدارس الدينية وخاصة في عهد الحاكم الرابع "دوقيدون" الذي حقد على الإسلام وقد منع من إعطاء رخص السفر إلى البقاع المقدسة عام 1873م، حيث صرّح أحد رجال الكاثوليك الفرنسيين سنة1877م أن السياسة التنصيرية هي وحدها الكافية لإدماج الجزائريين[3]، فتمسيح الجزائريين يعني قطعهم عن الإسلام والتوقف عن حشد الشعب في القرآن، حيث تم تحويل العديد من المساجد إلى إسطبل

---

[1]– محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين 1830-1954**، تر: محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2008، ص 234.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، **مرجع سابق**، ص 30.

[3]– صالح عوض، **مرجع سابق**، ص 209.

ومستودعات ومستشفيات عسكرية وكنائس، ومن بينهم مسجد كتشاوة المشهور الذي حُوِّل إلى كنيسة رغم معارضة المفتين والسكان الذين سقطوا العديد منهم قتلى دفاعا عن المسجد[1].

فأرادت فرنسا جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي أرضا ولغة وثقافة ودينا، ولذلك بعد الاحتلال مباشرة حاولت تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها، فكانت مراسيم تأسيس المدارس والمعاهد العربية الفرنسية والإشراف على التعليم العربي الإسلامي ووضعه تحت الإدارة الاستعمارية[2]، فقد بذلت كل ما بوسعها بمحو شخصية المجتمع الجزائري وتفكيك بنيته عن طريق محاولات تصفية اللغة العربية وآدابها، والدين الإسلامي بمؤسساته وعقيدته وشريعته وأخلاقه وثقافته، ولذلك فقد اعتمدت هذه السياسة على المكاتب العربية لتجسيد مشروعها وترسيخه في أذهان المجتمع الجزائري[3].

كما عملت سلطات الاحتلال على إغلاق المدارس وطاردت المعلمين واستولت على الكتب والمخطوطات، وأنشأ مقابل ذلك مدارس لتعليم الفرنسية ونشرها بين السكان الذين قاطعوها، كما أنشأت في مرحلة تالية مدارس عربية فرنسية ليس لها من العربية إلا المظهر[4].

ومن خلال ما سبق نقول أنه بالرغم من هذه السياسات الفرنسية، إلا أن الجزائريين لم يضعفوا ولم يستكينوا بل انتظموا في مقاومات شعبية عنيفة، فحملوا السلاح وقاوموا سياسة البطش والقوة وصمدوا أمام محاولات المسخ والتنصير، ومن بين هذه المقاومات مقاومة "الشيخ بوعمامة" بالجنوب الغربي الجزائري والتي هي محل دراستنا، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصول الآتية.

---

[1]- خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871**، مطبعة دحلب، الجزائر،(ب، د، ن)، ص 12.

[2]- عبد القادر حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 47.

[3]- بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 269.

[4]- عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، الجزائر، 2002، ص 125.

الفصل الأول

الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري

المبحث الثاني: دوافع الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري

المبحث الثالث: المشاريع التوسعية الاستعمارية بالجنوب الغربي الجزائري

المبحث الرابع: أوضاع منطقة الجنوب الغربي الجزائري قبل 1881

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري

ارتأينا قبل الولوج في الموضوع مباشرة القيام بدراسة مباشرة نستعرض فيها الجغرافية الطبيعية للجنوب الغربي الجزائري، حتى يتسنى لنا الوقوف على الملامح التضاريسية، ومعرفة الطابع المناخي للمنطقة والغطاء النباتي السائد، والموارد المائية المنسابة على سطوحها والغائرة في جوفها. ثم آثرنا كذلك أن نعطي إلمامة تاريخية وجيزة عن الجنوب الغربي الجزائري.

1/ جغرافيا:

يعد الجنوب الجزائري جزءا من الصحراء الكبرى الإفريقية، التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ويحدها من الشمال الجبال الأطلسية ومن الشمال الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما من الناحية الجنوبية فيحدها ما يعرف ببلدان الساحل، وتغطي الصحراء الكبرى مساحة تقدر بثمانية ملايين كلم^2، تشترك فيها كل من جنوب المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا، ومصر في الشمال وموريتانيا والصحراء الغربية من الغرب، ومن مالي والنيجر وتشاد والسودان في الجنوب. أما مساحة الصحراء الجزائرية فتبلغ 600 987 1 كلم^2، وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبها 90 بالمائة من مساحة القطر الجزائري[1]. وينقسم جنوب الجزائر من حيث البنية التضاريسية إلى أربعة أقسام رئيسية وهي: 1/ نطاق المنخفضات: تقع في الشمال الشرقي حيث منخفض ملغيغ 32 متر تحت مستوى سطح البحر، وتنتشر هنا أهم واحات الجزائر في وادي ريغ، ووادي سوف، والزيبان[2].

---

[1]- إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 12.

[2]- أحسن داوس، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين(مقاربة سوسيوثقافية)**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن، شعبة أدب الرحلة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2007-2008، ص 9.

2/ نطاق الرمال: وهو عبارة عن سهول تغطيها الرمال وتشمل أكبر أجزاء الصحراء، وأهم أشكالها العرق* و الرق** مثل رق "تانزروفت"***.

3/ نطاق الهضاب الصخرية: تحتل مناطق وسط الصحراء، أهمها هضبة تادمايت التي ترتفع إلى علو يناهز 600 متر، يعلوها غطاء صحراوي حديث.

4/ نطاق المرتفعات القديمة: التي تمثلها منطقة التاسيلي فهي عبارة عن صخور شاهقة الارتفاع 2254م ومتقطعة، وأيضا منطقة الهقار الشاسعة المكونة من الصخور البركانية[1].

ودراستنا هنا تتعلق بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري الذي يدخل ضمن القسم الثاني (السهول الرملية)، حيث تحتوي مظاهرها التضاريسية على جبال قصور والعمور**** بالأطلس الصحراوي، والحمادة***** والعرق الغربي الكبير، وعرق إيقيدي والراوي وعرق شاش، هذه العروق التي تنتشر بها واحات خضراء، ثم هضبة تادمايت في الوسط[2].

---

* العرق هو بمثابة منخفضات تكسوها الكثبان الرملية، وتنتشر بها الواحات، وتزخر بالمياه الجوفية، وتشغل مساحة واسعة النطاق من الصحراء الجزائرية. أنظر: الطيب بوسعد، **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني(وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي لغرداية، الجزائر، 2011، ص 430.

** الرق هو عبارة عن مناطق مستوية، تسودها الصخور ويتناثر فيها الحصى وتسمى بالسهول الصخرية مجازا. أنظر: نفس المرجع.

*** تانزروفت هي أشد الجهات قحولة فهي الصحراء بمعنى الكلمة تقع غربي الكتلة الوسطى بين احنات وأدرار، يبلغ عرضها 500 كلم وتنعدم بها الحياة النباتية والحيوانية. أنظر: محمد رشدي جراية، **الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث**، مذكرة لنيل الماجستير في تخصص التاريخ القديم، جامعة متنوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2007-2008، ص 21.

[1]- أحسن داوس، **المرجع السابق**، ص 10.

**** تمتد جبال العمور من مدينة فقيق المغربية إلى مدينة البيض شرقا، تشكل حاجزا بين الهضاب والصحراء. أنظر: فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين 18و19م**، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 2.

***** الحمادة هي عبارة عن هضاب تغطيها صخور جيرية ممتدة في شكل صفائح طبقية ومن أهم الحمادات في الجزائر: حمادة الذراع في الحدود الجزائرية المغربية، وحمادة تادمايت شمال عين صالح. أنظر: الطيب بوسعد، **مرجع سابق**، ص ص: 229-230.

[2]- إبراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص 21.

فانعكس هذا الوضع الجغرافي مباشرة على المناخ، حيث يتميز مناخ الإقليم الجنوبي الغربي بمناخ قاري جاف، فيكون الجو في منتهى الحرارة صيفا وفي منتهى البرودة شتاءا[1]، ويمكن اعتبار هذا الإقليم الأقصى حرارة، حيث تصل درجة الحرارة في هذا الحيز الجغرافي (بشار، أدرار، تندوف) إلى أقصى مستوياتها مسجلة 56 درجة في تندوف، وهي أقصى درجة حرارية في العالم، ونتيجة للطابع المناخي الحار والجاف بسبب ندرة الأمطار، فإن الحياة النباتية فقيرة، ولا سيما في وسط الصحراء، حيث إقليم تانزروفت[2].

حيث يوجد في الصحراء الجزائرية حوالي 500 نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة الذي يقتصر على حشائش الإستبس والطحلب الشوكي، وتنتشر في الواحات الغربية أنواع كثيرة من النباتات أهمها على الإطلاق النخيل المنتجة للتمور الذي يعتبر الغذاء الأساسي للسكان بالإضافة إلى أنواع عديدة من الخضر والفواكه المبكرة كالطماطم والعنب، كما تشتهر المنطقة بإنتاج أنواع خاصة من النبات كالحنة والتبغ، ورغم الموارد النباتية الضئيلة فإنها سمحت لنمو وعيش أنواع عديدة من الحيوانات كالغزلان، ومجموعة من الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور، كما يوجد في الواحات جميع أنواع الحيوانات الأليفة الممكن تربيتها كالقطط والكلاب والدواجن والأبقار وغير ذلك، وكما هو معروف أن الصحراء تشتهر بأهم حيوان ألا وهو الجمل الملقب "بسفينة الصحراء" الذي يستعمل في شتى الأغراض، وبذلك يعد بحق أهم حيوان يربى في الصحراء.[3]

كما تمتد في الإقليم الجنوبي الغربي وديان كثيرة، ونادرا ما يشاهد جريان بعضها عقب سقوط الأمطار، ويعد وادي الساورة المنطقة الحيوية والنشيطة في هذا الإقليم، هو يتكون من

---

[1]- إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 57.

[2]- عبد القادر حليمي، **جغرافية الجزائر (طبيعية بشرية اقتصادية)**، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1968، ص 90.

[3]- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص ص: 21- 22.

وادي غِيرْ(قير) الذي ينبع من جبال الأطلس الأعلى، ومن وادي بشار وزوزفان اللذان ينبعان من جبال القصور، ويعتبر وادي غيرْ أكثرها نصيبا من المياه ولذلك تحدث فيه فيضانات غير منتظمة، ولضبط جريانه والاستفادة من مياهه فقد أقيم عليه سد جرف التربة[1].

أما بالنسبة إلى الجانب البشري فإن الجنوب الغربي الجزائري يتميز بضالة السكان رغم شساعة المساحة، وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة اجتماعية ذات طابع يدوي نظرا للظروف الطبيعية المتحكمة في حياتهم، وخاصة منها ندرة المياه لأن وجود المياه بكميات كافية يسمح بممارسة الزراعة ومن ثمة الاستقرار، أما نقصانه فيعني البداوة والترحال والتشتت لذلك يُصَنَّف السكان إلى صنفين هما: البدو والحضر، فالبدو يقومون بعملية "العشابة" وهي الانتقال في بداية فصل الصيف إلى الشمال نحو الهضاب المرتفعة، ثم العودة إلى الصحراء في أواخر فصل الخريف، أما الحضر فهم يعيشون داخل "قصور"* أو قرى، وهي مركز تجاري أو زراعي أو هما معا[2].

2/ تاريخيا:

إن الجنوب الجزائري والصحراء الإفريقية الكبرى، ظلّت مغمورة من الناحية التاريخية لدى الأوروبيين وبقيت مجهولة بالنسبة إليهم طيلة عدة قرون، ولم يقدّم الرحالة القدماء من الإغريق والرومان، إلا معلومات ضحلة ومحدودة عن هذه المناطق، فمن المعروف أن بعض المناطق الصحراوية في الجزائر قد احتضنت حضارات عريقة لا تزال آثارها ظاهرة للعيان إلى اليوم،

---

[1]- وزارة المجاهدين، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية(دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،(ب، س، ن)، ص 27.

* القصور هي عبارة عن تجمع سكاني يرتبط سكانه فيما بينهم من ناحية القرابة أو المصالح المشتركة، وتجمع بينهم علاقات اجتماعية أدت بهم إلى السكن الجماعي داخل القصر. أنظر: إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص 23.

[2]- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص ص: 22- 23.

تشهد عليها الرسومات المنحوتة على الصخور، والتي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، وقد استطاعوا أن ينصهروا مع السكان الأصليين مُكوِّنين بذلك أمّة واحدة يرجع الفضل في تماسكها وتآخيها إلى الدين الإسلامي واللغة العربية[1].

ومن المعروف أن أوّل من وفد على الجنوب الغربي الجزائري وبأعداد كبيرة هم القبائل الأمازيغية المنحدرة من الفرع الزناتي، حيث شيّدوا القصور وزرعوا النخيل وحفروا الفقاقير* لجلي المياه الباطنية[2].

فقد ثار أمازيغ مكناسة على والي القيروان، وكوّنوا مملكة سجلماسة الصفرية في الواحات الغربية سنة 757م، تحت أسرة بني مدرار وأعلنوا عن استقلالهم الذاتي عند دخولهم في شقاق وتنافس ديني ضد الشيعة، وأصبحت مملكتهم مركزا حضاريا وتجاريا هاما في الجنوب الغربي الجزائري، كما عرفت المنطقة خلال القرن 5هـ توافد العديد من القبائل من جرّاء اشتداد الصراع بين القبائل المغربية وقبائل بني هلال وبني سليم اللتين وفدتا من المشرق العربي إلى المغرب العربي في ذلك الوقت بأعداد كبيرة، وبعد أن استقرت هذه الأعداد من القبائل مع من سبقوهم في المنطقة، نشب بينهم صراع طويل على الرياسة نتج عنه انقسام السكان إلى كتلتين متصارعتين.[3]

فكان أول احتلال حقيقي للجنوب الغربي الجزائري من طرف الجيش المغربي، الذي وقع سنة 1540م في عهد السعديين الذين كانوا يعطون أهمية كبيرة لتافيلالت ونواحيها، ولكن

---

[1]– الطيب بوسعد، **مرجع سابق**، ص 432.

* وهي الآبار المتصلة ببعضها البعض. أنظر: أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661– 1663**، ج1، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 82.

[2]– فرج محمود فرج، **مرجع سابق**، ص 32.

[3]– إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص 25.

سرعان ما اضمحل هذا الاحتلال فعاود الغزو "مولاي أحمد المنصور" سنة 1588م عندما شرع في احتلال السودان الغربي*، ولكن ثارت عليه توات** وتينجورارين(قورارة)*** ومنعته من ذلك، فجهّز حملة ثانية أرسلها لإخضاع المنطقة ولكنها فشلت أيضا، وبقيت الأوضاع على حالها حتى عام 1808م حينما أتت فرقة مغربية لجمع واقتطاع الضرائب رغم زوال كل مظهر من مظاهر سيادتها على المنطقة، وقد وجدت المنطقة مضطربة ومتصارعة على الرئاسة، وزادت هذه الفرقة في تدهور الأوضاع حينما تدخلت في هذا الصراع، ولذلك تدخل السلطان مولاي سليمان بنفسه على رأس قواته ليقاوم معارضيه ويفرض الاستقرار، وقد أبرمت في هذا الشأن معاهدة سلام بين المتصارعين، ولكن ما لبثت أن زالت السيادة المغربية وتفككت قصور الواحات، ورجعت إلى صراعاتها السابقة، و لكن حينما تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي هَبَّ سكان هذه المناطق مع إخوانهم في الشمال للدفاع عن الوطن وخاصة أثناء مقاومة الأمير عبد القادر.[1]

فبعد الانتصارات التي حققها الماريشال بوجو على القوات المغربية في موقعة إيسلي بالحدود المغربية سنة 1844م، ضغطت الحكومة الفرنسية على السلطان المغربي، حتى يُحَجِّم

---

* يشمل المنطقة الواسعة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى شمالا وبحيرة تشاد شرقا، وخليج غانا جنوبا على خط عرض 10 شمال خط الاستواء. أنظر: محمد رشدي جراية، **مرجع سابق**، ص 26.

** يتربع إقليم توات على مساحة واسعة تقارب ألفي ميل مربع في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، ما جعله يطل على السودان الغربي، وهو بذلك يحتل مركزا جغرافيا مهما، وينقسم الإقليم إلى 3 مناطق رئيسية وهي: تينجورارين، تيديكلت، توات وهي مركز الإقليم. أنظر: عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، الشروق للنشر، الجزائر، 2009، ص ص: 22- 23.

*** تقع شمال توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال والشمال الشرقي، ومن الجنوب هضبة تادمايت ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة، تتميز بكثرة السكان، تتربع على 500 إلى 600 منزل تتميز بالشساعة، ويوجد بها سبخة وبعض الأودية الجافة، وتنقسم إلى أربعة أحياء. أنظر: Le Marechal, Duc De Dalmatie, **Le Sahara Algérie(Géographiques, Statiques et historique)**, Langlois et Leclercq, fortin, Masson et C, Paris, 1845 , p 282.

[1]- إبراهيم مياسي، **مرجع سابق**، ص ص: 26- 27.

على تقديم العون للأمير عبد القادر، وأبرمت المعاهدات لتنفيذ ذلك، منها معاهدة طنجة يوم 10 سبتمبر 1844 التي تجعل الأمير عبد القادر خارجا عن القانون في كل الأراضي المغربية وكذلك في الجزائر، إضافة إلى معاهدة لالة مغنية المبرمة يوم 18 مارس 1845 بين الدولتين الفرنسية والمغربية من أجل تحديد الحدود، والفصل بين ذلك النزاع المغربي الفرنسي، ويظهر أن المغرب قد غالط فرنسا في هذه المعاهدة عندما ادعى أن تلك المناطق قاحلة وبدون سكان ولا ماء، بينما هي في الواقع واحات خضراء آهلة بالسكان منذ القدم وحاولت السلطات المغربية عدة مرّات وضعها تحت نفوذها، وبعد هذه المعاهدة أصبح الجنوب الغربي الجزائري مجال سير ونفوذ بارز لأولاد سيدي الشيخ، لأن هذه الأسرة لعبت دورا هاما وتاريخيا في حياة الجنوب الوهراني، وينحدر أصلها كما هو شائع ومتوافق مع المصادر والوثائق العربية والأجنبية أنها من أسرة الخليفة "أبي بكر الصديق رضي الله عنه" التي سكنت بمكة المكرمة في بداية الإسلام[1]، وقد نزحوا من مكة بعد طردهم من الجزيرة العربية في وقت غير معروف، فعبروا مصر وتونس إلى الجزائر والمغرب، ويقول "دوفيرييه": أن جدهم قد خرج غاضبا من تونس لأسباب عائلية أو سياسية، فذهب إلى الصحراء واستقر بالبيض بعيدا عن الخلق، وأسس فيه زاويته المعروفة باسمه "سيدي الشيخ"، وتوارث أبناؤه بركته واتسعت دائرتهم حتى شملت جنوب الإقليم الوهراني والنواحي الشرقية[2].

المبحث الثاني: دوافع الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري

إن دوافع احتلال فرنسا للجزائر متنوعة ومتعددة، فلعلّ من بين هاته الأسباب _ حسب نظرها– هو رد الكرامة والاعتبار لفرنسا بعد الإهانة التي لحقت بقنصلها "دوفال" من خلال ما

[1]– إبراهيم مياسي، **ثورة أولاد سيدي الشيخ**، مجلة الذاكرة، ع4، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1955، ص 197.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830– 1954**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 104.

يعرف بقصة المروحة، ولكن في نظرنا أن الأسباب الفعلية والحقيقية لاحتلال فرنسا للجزائر تتمثل في عدة نقاط أخرى، تتصدرها المطالب الإقليمية التي كانت فرنسا تريد الحصول عليها في الجزائر[1]. وبالتالي نجد أن ضربة المروحة لم تكن إلا سببا مزعوما، ضَخَّمته فرنسا وأرادت أن تجعل منه السبب المباشر لزحفها على الجزائر، وهذا لتدليس وتغطية أهدافها التوسعية وغيرها، وبذلك يظهر أن احتلال فرنسا للجزائر لم يكن بمحض الصدفة، أو أنه حدث وليد الساعة بل إنها فكرة قديمة كان قد خطط لها عقب نجاح الثورة الفرنسية سنة 1789م[2].

فقد اعتقد الفرنسيون بعد سقوط مدينة الجزائر وبسط سيطرتهم على المدن الساحلية أنهم سيخضعون بقية المناطق الداخلية في ظرف وجيز، وهذا حسب تصريح قائد الحملة الفرنسية على الجزائر "الجنرال دي بورمون" عندما كتب إلى حكومته قائلا: "أن العرب ينظرون إلينا كمحررين، وأن الجزائر سوف تخضع لسلطاننا قبل 15 يوما"، غير أن ظنهم خاب وعزيمتهم خارت عندما صُدموا بمقاومة الشعب الجزائري في أي بقعة جغرافية حَطَّت فيها أقدامهم، الأمر الذي دفع بالإدارة الاستعمارية في الاختراق والتوغل لبقية المناطق التي لازالت لم تدخل تحت السيطرة الفرنسية، وذلك بناءا على مقولتهم الشهيرة: "ينبغي أن نكون سادة في كل مكان، وإلا فلن نأمن في أي مكان"، وفي هذا السياق جاء الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية لاختراقها نظرا لأهميتها الجيو سياسية والاقتصادية، ولذلك أصدر البرلمان الفرنسي سنة 1844م قانونا ينص على توسيع منطقة الاحتلال نحو الجنوب[3].

حيث نجد أن فرنسا ألحّت على أن لا علاقة لها بباقي الجزائر، فالصحراء في نظرها شيء والجزائر التلية شيء آخر، وليس هناك مجال للربط بين شمال الجزائر وجنوبها، فالصحراء في

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982، ص 24.

[2]- محمد عيساوي، نبيل شريخي، **مرجع سابق**، ص ص: 6- 7.

[3]- رضوان شافو، **مرجع سابق**، ص ص: 43- 44.

اعتبار الفرنسيين هي من وضعهم وكأنها لم تكن موجودة من قبل وصولهم، وحتى لو كانت موجودة فهي لم تكن ملكا لأحد وتابعة لجهة معينة[1].

وبالتالي يرجع سبب احتلال فرنسا للجزائر والتوسع في الجنوب الغربي الجزائري هو ربط لمستعمراتها الإفريقية في غرب القارة ووسطها ثم شمالها ولا يتأتى ذلك إلا إذا احتلت الصحراء الجزائرية لأنها تعتبر حلقة الربط بين هذه المستعمرات[2].

ولذلك أصبحت فرنسا تبحث عن مناطق نفوذ في الأقاليم المتاخمة للحدود الجزائرية، فالمتتبع لاهتمامات الفرنسيين بالصحراء، يجدهم يزدادون انشغالا بها مع تطور الأحداث، برغم بسط نفوذهم على مناطق الشمال، واتضح ذلك في حاجة فرنسا الماسة لموقع الصحراء كنقطة إستراتيجية تفتح لها الآفاق على العالم الإفريقي وحتى الأوروبي، وقد أشار إلى ذلك "ديغول" في إحدى خطبه خلال زيارته للجزائر بقوله: "إن الصحراء هي أرض المستقبل وشريط بين عالمين، عالم البحر المتوسط وعالم إفريقيا، وبين عالم المحيط الأطلسي وعالم النيل والبحر الأحمر"[3].

وبالتالي احتلال الجنوب الغربي الجزائري هو ضمان لاحتلال كامل البلاد، لأن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر من حين لآخر كانت تجد في الجنوب والواحات معقلا يلجأ إليه المجاهدون للراحة، ولقد زار الرحالة الألماني "جيرهار درولف" إقليم توات سنة 1864م، وشاهد بنفسه مشاركة أهل الجنوب للشمال، فنصح الفرنسيون أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصائب وكل الفوضى ما دام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، فلن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران،

---

[1]- عبد الحميد زوزو، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة(مؤسسات ومواثيق)**، دار هومة، الجزائر،2009، ص ص:28-29.

[2]- محمد الصالح حوتية، **توات والأزواد**، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 464.

[3]- أحمد مريوش، **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916**، مجلة المصادر، ع11،(ب، د، ن)،(ب، ب، ن)، (ب، س، ن)، ص 4.

إضافة إلى دافع آخر وهو القضاء على قواعد الشيخ بوعمامة بإقليم تينجورارين، أي بعد المعارك التي خاضتها عائلة أولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي تجددت المقاومة بظهور الشيخ بوعمامة، كذلك القضاء على تجارة القوافل التجارية العابرة للصحراء ما بين تينجورارين وورقلة ومتليلي* والمنيعة (القليعة) إلى تينجورارين واقبلي** إلى تمبكتو[1]***.

لذلك قررت الحكومة الفرنسية في الربع الأخير من القرن 19م أن تقوم بإجراءات وعمليات توسعية سريعة وشديدة لتقبض على الجنوب الجزائري، وخاصة الغربي منه، وحتى تضمن بسط نفوذها على كامل التراب الجزائري الذي يعد بمثابة جوهرة استعمارها من جهة، ثم تمد نفوذها إلى تونس وإلى المغرب الأقصى من جهة أخرى، فمنذ مقتل الرحالة الملازم "بالات"PALAT، في عام 1886 بجنوب توات، تخوّف سكان المنطقة التواتية من عقاب فرنسا الشديد لهم، لذلك بعثوا إلى السلطان المغربي مولاي الحسن ليحميهم من الغارات الفرنسية المتوقعة، وقد روّجت فعلا في البلاط المغربي بأن السلطان يعتزم وضع كل منطقة الواحات من الجنوب الغربي الجزائري تحت سلطته، لذلك دعت بعض الشخصيات السياسية الفرنسية الإدارة الاستعمارية بأن تقوم بعمل سريع وحاسم في المنطقة، حتى تُفَوِّت الفرصة على المغرب، وهكذا تميزت العلاقات

---

* تبعد متليلي بمسافة 45 كلم عن غرداية، تقدر مساحتها 7300 كلم^2، ويقال أن أصل الكلمة "مثل ليلي" وهو واد بالمغرب يشبه واد متليلي فقيل: مثل ليلي، ورأي آخر يقول أنها مكونة من قسمين "مت" تعني العسل و"ليلي" تعني المكان، فمتليلي تعني "مكان العسل". أنظر: سرقمة عاشور، **الطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانبة**، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع$_4$، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2011، ص ص: 143- 144.

** تقع منطقة اقبلي جنوب تيديكلت وتبعد عنها حوالي 35 كلم، توجد بسهل منبسط، أشهر قصورها قصر بونعامة. أنظر: محمد الصالح حوتية، **توات والازواد**، ج$_1$، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 35.

[1]- محمد الصالح حوتية، **توات**...، ج$_2$، ص 464.

*** هي إحدى المدن الإستراتيجية والحيوية تقع على ضفاف نهر النيجر، ويقال أن اسمها مشتق من بئر بكتو، وهو اسم لامرأة تارقية، وبفضل موقعها الاستراتيجي شكلت سوقا تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات. أنظر: محمد الصالح حوتية، **توات** ...، ج$_2$، ص 423.

الفرنسية– المغربية في هاته الحقبة بالنزاع المستعمر على الحدود، والذي انتهى باحتلال فرنسا للحدود والجنوب الغربي الجزائري، وحتى المغرب الأقصى، وبذلك ترسخت أقدام الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمنطقة كلها وحققت حلمها القديم[1].

والى جانب ذلك تعتبر الأسباب الاقتصادية من أهم الدوافع الفرنسية لاحتلال الجزائر، وذلك من خلال الطمع الفرنسي منذ قرون، فقد أعرب الجنرال "جيرارد فور" بمناسبة نزول الجيوش الفرنسية بالساحل الجزائري إلى أن هذا الاحتلال يستند إلى ضرورات هامة جدا، ويرمي إلى فتح منفذ واسع لتصريف بضائع فرنسا، وأضاف قائلا: "وتلك الضرورة هي فتح آفاق من عدد سكانها (فرنسا)، ولمبادلات منتوجات مصانعنا بمنتوجات أخرى غريبة عن أرضنا، وعن جوّ بلادنا"[2].

كما كتب الجنرال بوجو سنة 1842 إلى السلطات الفرنسية يقول: "... ستطلب الجزائر ولمدة طويلة المنتوجات الصناعية من فرنسا بينما تستطيع الجزائر تزويد فرنسا بكميات من المواد الأولية اللازمة للصناعة"، لذا رأت فرنسا أن احتلال الجزائر سوف يجلب لها الخير الكثير، باعتبارها سوقا رائجا لبضائعها، وموردا هاما للمواد الخام وخاصة في الجنوب الزاخر بالمعادن[3]، كما أن السيطرة على الجزائر ستؤدي حتما إلى فتح مجالات واسعة وإيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية، وخاصة في جنوب البلاد الشاسع، حيث أبرمت في هذا الميدان معاهدة غدامس* بين الفرنسيين وزعيم الطوارق، وذلك في 26 نوفمبر 1862 والتي كان من نتائجها:

---

[1]– إبراهيم مياسي، **توسع** ...، ، ص ص: 77– 78.

[2]– محمد عيساوي، نبيل شريخي، **مرجع سابق**، ص 11.

[3]– إبراهيم مياسي، **توسع** ...، ص 80.

* غدامس إحدى المدن الحيوية والإستراتيجية، تقع حاليا على الحدود الليبية الجزائرية، ونظرا لموقعها الجغرافي وتوفرها على عناصر الحياة فإنها شكلت قاعدة تجارية وعسكرية عبر مراحلها التاريخية التي مرت بها. أنظر: حميدة عميراوي، زاوية سليم، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844– 1916**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص ص: 10– 11.

توسيع عمليات التبادل التجاري بين فرنسا والجنوب الجزائري والصحراء الإفريقية وفتح مجالات واسعة لاستثمار واستغلال هذه المناطق البكر، والحصول على المنتوجات التي تنقص فرنسا، ذلك أن الفرنسيين في بداية الاحتلال ظنوا أن الجزائر سوق تنتج لهم محاصيل المناطق الحارة على نمط المستعمرات الفرنسية الأخرى[1].

فكان السبب الرئيسي لاحتلال منطقة الجنوب الغربي الجزائري هو استغلال ثروة المنطقة، حيث أظهرت الدراسات الجيولوجية وبعض البعثات أن هذه النقطة تحتوي على معادن كثيرة ومتنوعة تحتاجها فرنسا لازدهار صناعتها، ذلك أن منطقة تينجورارين تكمن فيها أنواع هامة من الفحم الحجري اكتشفها الأستاذ "فلامون"(Flamand)، كما أشار الباحث "رولاند" (Rollond)، إلى أن المنطقة الشرقية من هضبة تادمايت تحتوي على مركبات من الكبريت، وهو يستعمل من طرف السكان لمداواة الجِمال المريضة، كما يستعمل في واحات توات لصناعة البارود، كما توقع أيضا أن المنطقة تحتوي على كميات كبيرة من معدن الحديد وهذا من خلال ما اكتشفه المكتشفون، ويتوقع وجود أكسيد المغنيز في حمادة المناطق الجنوبية الغربية من الجزائر وكذلك في بعض الأماكن من هضبة تادمايت، كما يتوقع أيضا وجود معادن أخرى بالصحراء كالنحاس والرصاص.[2]

ومن خلال ما سبق نرى أن السلطات الفرنسية قد أدركت أن منطقة الجنوب الغربي الجزائري تعد من أهم المناطق لاستعمارها نظرا لما تتمتع به من موقع إستراتيجي هام يجعلها تتحكم في الجزائر وتقضي على المقاومات الشعبية، كما يمكنها من السيطرة على المغرب الأقصى وغرب إفريقيا، لربط هذه المستعمرات مع بعضها البعض إضافة إلى كونها تزخر

---

[1]- حميدة عميراوي، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص ص: 147 - 148.

[2]- محمد الصالح حوتية، **توات** ...، ج2، ص 463.

بخيرات زراعية ومعدنية من شأنها أن تخدم الاقتصاد الفرنسي مستقبلا، لذلك بذلت كل جهودها لاحتلال هذه المنطقة.

المبحث الثالث: المشاريع التوسعية الاستعمارية بالجنوب الغربي الجزائري

نجد أنه لكل دولة استعمارية خطة عمل تسعى لفرض سيطرتها وترسيخ وجودها الفعلي بالمناطق المستهدفة، وتعتبر فرنسا إحدى هذه الدول التي راحت تتطلع إلى التوسع نحو الجنوب الجزائري بعد عدم تمكنها من فرض سيطرتها على القسم الشمالي من البلاد، ونظرا للخصوصيات القاسية التي تتميز بها الصحراء الجزائرية قامت بمشاريع عدة، ولكنها مشتركة في الهدف[1]. وسنحاول في هذا المبحث التطرق إلى مشروعين رئيسيين ساهما بصورة مباشرة في تشجيع التوسع نحو الجنوب الجزائري، وخاصة الغربي منه، والتي تتمثل في:

1/ البعثات الاستكشافية:

كما سبق وأشرنا أنه كانت ثورات الشعب الجزائري في الشمال سببا في تحول الواحات الصحراوية في الجنوب إلى معاقل للثوار والمجاهدين، الذين يفرّون إليها للاعتصام والاستعداد، ولذلك عزم الفرنسيون على التوسع إلى أعماق الصحراء خاصة بعد أحداث ثورة واحة الزعاطشة بمنطقة بسكرة عام 1849م، وثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني 1864م، وبالتالي اشتد هذا الاهتمام أكثر في الربع الأخير من القرن 19م، فجاء تعرض بعض حملاتهم وبعثاتهم العسكرية التوسعية إلى هجمات المقاومين الجزائريين في أعماق الصحراء ما شجعهم أكثر إلى التوسع والسيطرة على كل الواحات الصحراوية[2].

---

[1]– حميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية...**، ص 63.

[2]– يحيى بوعزيز، **اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء**، مجلة الثقافة، ع57، الشركة الوطنية، الجزائر 1980، ص 20.

فكان الموفد "روني كاي" من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا إلى أعماق الصحراء، فَعَبَرها من السينيغال إلى مدينة تمبكتو، ثم عاد عن طريق قصور تينجورارين ثم تافيلالت إلى فاس والرباط فطنجة، وقد كان يتطلع إلى اختراق الصحراء الإفريقية الكبرى من السينيغال إلى مصر والحجاز في زِيّ تاجر متظاهر بالإسلام، إلا أن الصعوبات التي واجهته حالت دون ذلك، فاكتفى بالوصول إلى تمبكتو ومنها توجه نحو المغرب، وبذلك فقد قَدَّم إلى المصالح المختصة بالتوسع الاستعماري الفرنسي معلومات جغرافية وحضارية هامة عن هذه المناطق، ساعدتها فيما بعد في عمليات الغزو والتوسع الفرنسي للجنوب الجزائري[1].

ومع مطلع الخمسينات بدأت الرحلات والبعثات تكثر نحو الجنوب، فقام الدكتور "هنري بارث"* الألماني برحلتين في أعوام 1849-1855م، من طرابلس إلى غدامس وغات بفزان، وإلى تشاد وتمبكتو عبر تينجورارين وتوات وتيديكلت** وكان برفقته صديقه "ريتشارد صون"*** و"أوفريج، اللذين فقدهما في هذه المغامرة[2]. وبهذا استطاع بارث أن يقدم إلى العالم معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء والتشاد، حيث نجح في تحقيق الكثير من المعلومات الجغرافية

---

[1]- إبراهيم مياسي، **ثورة أولاد...**، ص 204.

* ولد في حضن عائلة عريقة في ولاية ثورينج، وكانت له رغبة في الاستكشاف منذ صباه، تعلم اللغة العربية، توغل في المغرب و تجوّل في الجزائر ثم في تونس وطرابلس وبرقة، توفي سنة 1865. أنظر: إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص: 74- 75.

** تقع في أقصى الجنوب الجزائري، وتيديكلت كلمة أمازيغية تعني كف اليد، تحتوي على 7 تجمعات و أكبرها: عين صالح وعين غار. أنظر: إبراهيم مياسي، **المقاومة الشعبية**، دار مدني، الجزائر، 2009، ص 100.

*** رحالة انجليزي ولد سنة 1806م، أوكلت إليه مهمة التحري لاستطلاع الصحراء والسودان، ووصل إلى بحيرة تشاد وتوفي متأثرا بمناخ المنطقة سنة 1851م. أنظر: محمد الصالح حوتية، **توات ...**، ج2 ، ص 441.

[2]- يحي بوعزيز، **اهتمامات الفرنسيين...**، ص 21.

والجيولوجية وحتى التاريخية للسكان، كما ساهم في ربط العلاقات التجارية بين أوروبا وهذا الجزء من العالم، لذلك يعتبر بارث بحق من أكبر المستكشفين العلميين للقارة السمراء.[1]

وفي النصف الثاني من القرن 19م كثّف الفرنسيون نشاطهم الاستكشافي في الصحراء الجزائرية، وخاصة الجنوب الغربي منه، ومن أهم مكتشفو منطقة الجنوب الغربي نجد:

– رحلة "كولونيو" و"بورين" (Burin, Colonieu) عام 1875م كانت هذه الرحلة بمساعدة حمزة من أولاد سيدي الشيخ الذي كان مواليا لفرنسا، وقد تم خلال هذه الرحلة رسم خرائط لعدة أماكن مختلفة.

– رحلة "دوكولمب" (De colombe) وهو حاكم دائرة البيض الذي قام برحلة إلى الجنوب الغربي ووصل في شهر جانفي 1857م، زار خلالها أقاليم توات وتينجورارين وتيديكلت والتي وصفها بكونها "عبارة على جزر مُخْضَرّة وسط محيط من النار"، وقد استغرقت هذه الرحلة مدة 25 يوما، وفي نفس الفترة قام القائد كولونيو وبورين بمحاولة اكتشاف تينجورارين وتوات، فانضم إلى القافلة التجارية التي تنطلق من سعيدة والبيض وتضم قبائل مختلفة، الهدف منها تموين إقليم توات بالحبوب والرجوع بالتمور، وبمجرد وصولها إلى إقليم توات علم السكان بهويتهما فلم يحققا غرضهما، ونفس المصير قد تعرضا له بتيميمون لذلك قررا أن يعودا إلى البيض[2].

– بعثة "دوفيري هنري* الذي قام برحلة استطلاعية إلى مدينة القليعة التي تَنكّرَ له سكانها، وفي هذا السياق يقول: "قد تبدو رحلتي هذه هزيمة حيث أنني طُردت من هذه المدينة

---

[1]– إبراهيم مياسي، **ثورة أولاد...**، ص 205.

[2]– محمد الصالح حوتية، **توات...**، ج1، ص ص: 233– 234.

* ولد في مدينة باريس عام 1840م، قام بزيارة الجزائر عام 1857م تَعَرَّفَ على الهضاب العليا والاغواط والاوراس، وفي 1859م توجه إلى المنيعة في أول استطلاعاته للصحراء الجزائرية. أنظر: إسماعيل العربي، **مرجع سابق**، ص 84.

واضطررت تحت التهديد إلى الخروج منها ليلا في ظروف مشينة، ومع ذلك فأنا أعتبر هذه الرحلة ناجحة"، كما قام برحلة مبكرة إلى بلاد الطوارق فدرس المنطقة، ودامت رحلته من 1859- 1862م، ومنحته الجمعية ميدالية ذهبية على أعماله هذه[1].

- رحلة "جيرهارد روهلفس"* انطلق مع مطلع الستينات نحو تافيلالت للخروج إلى تمبكتو عن طريق إقليم توات إلا أن هذا لم يثنه عن مواصلة رحلته بالدخول ضمن التراب الجزائري نحو الجنوب الوهراني، ولكن أحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ دفعته إلى التوغل في التراب المغربي عائدا إلى تافيلالت، ومن هناك توجه إلى توات وبعدها نحو أدرار، ومن هناك عرج إلى الشرق، وفي عام 1864م دخل إلى عين صالح**، وهكذا فقد تم لهذا المكتشف اختراق الصحراء من غربها إلى شرقها[2].

- رحلة "بول صوليه"(Paul Soleillet) وهو فرنسي الأصل جاء إلى إقليم تيديكلت عن طريق المنيعة وقد نزل بشمال عين صالح بمنطقة مليانة سنة 1874م فلم يتم استقباله من طرف "الحاج عبد القادر باجودة"*** فرجع إلى المنيعة.

- رحلة الملازم "بالات"(Palat) الذي وصل إلى عين صالح نهاية 1885م، فكان هدفه التوسع إلى السودان عبر هذا الطريق، وقد تفطن السكان لجنسيته لأنه لم يكن يحسن العربية

---

[1]- يحيى بوعزيز، **اهتمامات الفرنسيين بالطوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه**، مجلة الأصالة، ع72، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1979، ص 54.

* ولد سنة 1832م انخرط في سلك اللفيف الأجنبي لحبه المغامرة في الصحراء الأجنبية، تعلم اللغة العربية ببلاد القبائل، وكان حلمه الوصول إلى مدينة تمبكتو. أنظر: حميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية...**، مرجع سابق، ص69.

** عين صالح منطقة شهيرة تابعة لولاية تمنراست تبعد عنها بحوالي 660 كلم، وتعتبر عاصمة تيديكلت. أنظر: محمد باي بلعالم، **إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلاّن في جنوب الجزائر**،(ب، د، ن)، الجزائر، 1433هـ، ص ص: 35- 36.

[2]- حميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية...**، ص 69.

*** هو المهدي بن الحاج عبد القادر بن محمد بن سيد الحاج، رئيس قبيلة باجودة ومقدم الزاوية السنوسية بعين صالح، ولد حوالي 1854م، بعين صالح وينتمي إلى الأسرة السنوسية بنواحي مستغانم. أنظر: إبراهيم مياسي، **المقاومة ...**، **مرجع سابق**، ص 137.

لذلك فقد عومل معاملة سيئة، ثم عاد إلى عين صالح عن طريق تادمايت، وتوفي هناك سنة 1886م[1].

إن هؤلاء المكتشفين قدموا لنا رصيدا هائلا من المعلومات عن الصحراء الجزائرية والإفريقية الكبرى، وهو ما أدى إلى ازدياد رغبة فرنسا في احتلال المناطق الصحراوية الغنية بثرواتها الطبيعية الظاهرية والباطنية، وتسهيل مهمة التوسع العسكري من خلال إتباع طرق ووسائل معينة لنجاح العملية التوسعية، حيث تمكّن الضابط "لابي"(La pie) من وضع خريطة عامة للجزائر التي كانت أحسن أداة للتوسع الفرنسي في الصحراء[2].

إضافة إلى العديد من المكتشفين لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري، فقد اكتفينا بذكر أهمهم، وبالتالي استمرت هذه العملية في كشف أسرار الصحراء حتى يتمكن الاستعمار من بسط نفوذه عليها.

2/ مشروع السكة الحديدية:

في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون جادّين في الغزو والتوسع إلى جنوب الجزائر والصحراء، أوّلوا اهتمامهم بموضوع المواصلات التي تمثل العنصر الأساسي والفعال[3]، فمن خلال البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية ودراسة كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين، توصّلوا إلى معرفة طرق القوافل الصحراوية، ومن بين هذه الطرق: – طرق باتجاه مدينة تمبكتو مثل: طريق من مراكش، وطريق من فاس ومكناس، وطريق من وهران وأرزيو، وطريق من

---

[1]– محمد الصالح حوتية، **توات** ...، ج2، ص ص: 435– 436.

[2]– حميدة عميراوي، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص ص: 93– 94.

[3]– يحيى بوعزيز، **اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء**، مجلة الثقافة، ع58، الشركة الوطنية، الجزائر، 1980، ص ص: 45– 46.

مدينة الجزائر. ويوجد طرق أخرى منتشرة في شرق الجزائر، وأقصى الصحراء الشرقية عبر صحراء ليبيا ومصر، وهي الطرق التي كشفت عنها الرحالة والمكتشفون خلال القرنين 19 و20م[1].

ويعود تخطيط مشروع السكة الحديدية في الحقيقة إلى النصف الثاني من القرن 19م، وبإيعاز من "كاباني" الذي اقترح مد خط حديدي من الجزائر نحو بوسعادة وورقلة، على أن يتفرع إلى فرعين رئيسيين: الفرع الأول باتجاه تونس وطرابلس، والفرع الثاني باتجاه عين صالح والهقار، وعلى أن تبدأ الأشغال بهما مع مطلع 1853م، إلا أن الظروف التي عرفتها فرنسا حالت دون تنفيذه[2].

وقد برز أحد المهندسين من بين المهتمين بمشروع خطة السكة الحديدية بالصحراء وهو "دي دوبونشال"(De Deponchel) الذي قدّم أوّل الدراسات سنة 1874م وأشار فيها إلى الخط الذي سيسمح بالتوغل إلى داخل بلاد السودان والاستحواذ على تجارتهم وقد نشرها في كتابه سنة 1878م، بالإضافة إلى أن وزير الأشغال العمومية الفرنسي أصدر مجلدا بعنوان "وثائق متعلقة بمهمة في الجنوب الجزائري" ومنحها لثلاث بعثات علمية لدراسته[3] وهي على النحو التالي: – البعثة الأولى: يترأسها المهندس السامي في المناجم الجزائرية "بويان"(Pouyanne) ومهمتها رسم السكة بوهران نحو توات.

---

[1]– إبراهيم مياسي، **ثورة أولاد** ...، ص ص: 205– 206.

[2]– حميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية**...، ص 79.

[3]– محمد الصالح حوتية، **توات** ...، ج2، ص 467.

– البعثة الثانية: أشرف عليها "شوازي"(Choizy)(1879–1880) المكلّف بدراسة مخطط: الأغواط، القليعة وبسكرة، ورقلة، ورأت هذه البعثة ضرورة اختيار الخط الرابط بين بسكرة وورقلة لفائدته التجارية.

– البعثة الثالثة: ترأسها العقيد "فلاترس"*(Flatters) التي كلّفت بوضع تصميم للخط الحديدي جنوبي قسنطينة يمتد من ورقلة إلى بلاد الطوارق، وقد انطلقت سنة 1880م، نحو الجنوب مارّة ببسكرة فورقلة فتمسنين، ثم بحيرة منوغ، ثم عادت البعثة بعد أن كادت حمولتها من الزاد تنفذ[1].

وفي ديسمبر 1880م انطلقت البعثة الثانية تحت قيادة فلاترس، اتجهت نحو الجنوب الغربي الجزائري، فمرّت بحاسي إيفل لتصل إلى أمجيد في جانفي 1881م ولكن ما لم يفعله الطوارق من قبل قاموا به هذه المرة، حيث كمنوا للبعثة ووقعت إصطدامات بين الطرفين وانتهت بهزيمة الفرنسيين ومقتل فلاترس[2].

كما قامت فرنسا بدراسة تقنية لمشروع السكة الحديدية التي توصّلت إلى أن حركة السلع والبضائع ستصل إلى حوالي 200 ألف طن سنويا ما بين وهران وإقليم توات، ولهذا اهتم الخبراء بالميدان من خلال لفت انتباه رجال السياسة في قضية السكة الحديدية وما تُدِرُّهُ من أرباح على خزينة فرنسا وتعمل على ازدهار وتنشيط الحركة التجارية بين فرنسا والجنوب

---

* أحد ضباط البعثة الفرنسية التي كلفت سنة 1879م بمسؤولية اكتشاف طريق الصحراء(الجزائر،النيجر، تشاد)، وقد انطلقت من مدينة ورقلة وتمكنت من وضع خريطة طبوغرافية للمنطقة، وظلت البعثة بين مد وجزر حتى لقي فلاترس حتفه سنة 1881م. أنظر: أحمد مريوش، **السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود فعل الوطنية ما بين 1900–1930**، مجلة المصادر،ع20، (ب، د، ن)،(ب، ب، ن)، (ب، س، ن)، ص 8.

[1]– إسماعيل العربي، **مرجع سابق**، ص 102.

[2]– إسماعيل العربي، **مرجع سابق**، ص ص: 105– 106.

الغربي الجزائري، وتساهم في جلب المستثمرين وأصحاب الشركات الكبرى ورجال الصحافة وغيرهم للمآزرة والمشاركة في تحقيق هذا الهدف[1].

فقد شرع في إنجاز الخط الحديدي الرابط ما بين وهران وتمبكتو من مرحلته الأولى وهي (خط أرزيو– عين الصفراء) عدّة سنوات، وعلى مسافة معتبرة[2]، وبالتالي فهذا المشروع إذ كان يحقق لفرنسا ولخزينتها أرباحا فإنه سيقضي حتما على تجارة القوافل التي كان يعيش بها السكان، وعملية التبادل المباشرة التي كانت تتم ما بين مناطق الجنوب الغربي، بالإضافة إلى تحكمها في سير حركة المسافرين ما بين توات وبشار...الخ[3]، ومما تجدر الإشارة إليه في الأخير حول مشروع السكة الحديدية، هو أنه عرف الكثير من العراقيل والصعوبات التي حالت دون تنفيذه كما تم التخطيط له، عكس بقية مشاريع السكة الحديدية التي أنجزتها إنجلترا في كل من الهند وجنوب إفريقيا، ومن بين هذه الصعوبات:

– طبيعة الصحراء الجزائرية التي توفرها العديد من المتناقضات الطبيعية غير مستقرة.

– كذلك الظروف الدولية التي كانت تمر بها فرنسا، ومقابل ذلك هو وجود مقاومة وطنية جزائرية للمشاريع التوسعية الاستعمارية[4].

وهنا يمكن القول بأن فرنسا كان لها دافعا قويا للتوسع في الجنوب الغربي الجزائري من خلال مشروع السكة الحديدية، وذلك تحت العديد من الحجج، ومن جهة أخرى نجد أن تلك الخطوط التي أنجزتها ساهمت إلى حد بعيد في نهب واستغلال الثروات الطبيعية في الصحراء

---

[1]– محمد الصالح حوتية، **توات** ...، ج2، ص ص: 469– 470.

[2]– إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837– 1934**، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 439.

[3]– محمد الصالح حوتية، **توات**...، ج2، ص 472.

[4]– حميدة عميراوي، **السياسة الفرنسية**...، ص ص: 86– 87.

الجزائرية، كما ساهمت بشكل قوي في تنمية ازدهار الاقتصاد الفرنسي على حساب الشعب الجزائري الذي حُرم من استغلاله لصالحه.

المبحث الرابع: أوضاع منطقة الجنوب الغربي الجزائري قبل 1881

عرفت منطقة الجنوب الغربي الجزائري قبل عام 1881م، أوّل توغل للفرنسيين الذي تم في الأربعينات من القرن 19م، ولكن أوّل مركز أقامه العسكريون كان سنة 1853م في بلدة البيض*(جيري فيل)[1]، وقد شهدت أسرة أولاد سيدي الشيخ فترة توتر بعد وفاة الشيخ سيدي عبد القادر الذي شاع اسمه في كامل الجنوب الغربي والجزء الشرقي من المغرب الأقصى، حيث خلفه عدد أكبر من الأولاد الذين تنازعوا فيما بينهم على الزعامة الدينية والقيادة السياسية فانقسموا إلى قسمين هما: – قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم بزعامة الابن الأكبر الحاج أبي حفص، – وقسم استقر في الناحية الغربية من القصر بزعامة الابن الثالث سيدي الحاج عبد الكريم، وعددهم أكبر من القسم الأول، وقد عاش القسم الأول حياة البداوة في الخيام مع العبيد والأتباع والخدم، يتنقلون على أطراف البلدة بحيواناتهم من إبل وخيل وأغنام وماعز، ويقومون ببعض الزراعات الواسعة خلال سنين الرخاء كزراعة القمح والشعير، ثم استقروا في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ، وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة وسموا بأولاد

* البيض أو الواد الأبيض أو البيوض فهي تسمية قديمة تعود أصولها إلى ما قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر، يقال أنها كانت تكتسيها طينة بيضاء استعملت لغسيل الصوف والبرنوس، ورأي آخر يقول كونها تشهد تساقط الثلوج بكثافة، وبعد دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة بقيادة العقيد جيري سميت على اسمه "جيري فيل" (Géry ville). أنظر: وزارة المجاهدين، **مدخل في تاريخ ولاية البيض بين المقاومة الشعبية واهم المعارك الكبرى لجيش التحرير**، (ب، د، ن)، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن)، ص 11.

[1]– مالك بوحوص، **ثورة أولاد سيدي الشيخ**، دار الغرب، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن)، ص 15.

سيدي الشيخ الشراقة، أما القسم الثاني فهم سكان الحضر الذين يشتغلون بالزراعة الحقلية من خضر وفواكه ونخيل، كما أنشئوا زاوية خاصة بهم أيضا، وسمّوا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة[1].

وكانت معاهدة 1845م بين المغرب وفرنسا قد جعلت من أولاد سيدي الشيخ الشراقة تحت سلطة الفرنسيين، والغرابة تحت سلطة المغرب، وكان ذلك بداية لتقسيم العائلة الواحدة وتلاعب الفرنسيين بمصيرها، بعد أن علم الفرنسيون مدى حرص أولاد سيدي الشيخ على السلطة الدنيوية ، فاستغلوا ذلك فيهم وبذلك عيّن الفرنسيون سيدي الشيخ خليفة لهم على الصحراء الجنوبية الممتدة من حدود المغرب إلى ورقلة، وأعطوه صلاحيات واسعة لأن الإدارة الفرنسية كانت عاجزة عن التحكم في كل البلاد، كما وزعوا ألقابا أخرى على بعض أفراد العائلة وأقطعوهم الإقطاعات، وكان ذلك من الفرنسيين سياسة مؤقتة فقط، أي ريثما يتفرغون إلى مناطق التل والصحراء بعد تحكمهم في الوضع العام[2]، ولذلك جعلوا من سي حمزة لعبة في أيدي الضباط الفرنسيين وآلة يسخرونها في سبيل مصالحهم[3].

وبالتالي فقد اضطر قادة أولاد سيدي الشيخ الشراقة إلى وضع أنفسهم تحت تصرف الإدارة الفرنسية، ودفعوا بسي حمزة للقبول بمنصب الخليفة، وإظهارا لولائه قاد مع الجنرال بيليسيي (Pélissier) *الحملة على ورقلة، وكافئه الفرنسيون بتعيينه خليفة على كامل المنطقة، وقد ظل في منصبه حتى عام 1861م، حيث أعلن عن وفاته، وقيل أنه سُمّم بغرض التخلص منه، وعيّنت الإدارة الفرنسية ابنه "بوبكر" في مكانه ولكن برتبة باش آغا وهي أقل من لقب الخليفة،

---

[1]- إبراهيم مياسي، **توسع** ...، ص 29.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الوطنية الجزائرية 1860- 1900**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 181.

[3]- محمد الصالح الصديق، **كيف ننسى وهذه جرائمهم**، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 65.

* ولد سنة 1794، وفي عام 1840 تولى رئاسة مقاطعة وهران، رقي إلى رتبة ماريشال، وعيّن واليا عاما على الجزائر من سنة 1860-1864م، وتوفي عام 1864م. أنظر: وزارة المجاهدين، **مدخل**...، ص 113.

لكن لم يدم طويلا في منصبه إذ توفي عام 1862م، وعُيِّن في منصبه أخاه "سليمان" وعينت إلى جانبه عمّه سي لعلى آغا على ورقلة، وكان لهذا الأخير دورا كبيرا في ثورة سي سليمان حيث كان المهندس الحقيقي لثورة 1864م[1]، ومن أسباب هذه الثورة 1864 نذكر: إنزال مراكز أسرة أولاد سيدي الشيخ والعمل على تحطيم نفوذها السياسي، فرض السلطات الفرنسية ضرائب باهضة وغير معقولة على أولاد سيدي الشيخ إلى جانب مصادرة أراضيهم وأملاكهم العقارية والحيوانية، إضافة إلى سوء معاملة ضباط المكاتب العربية للسكان[2].

فلم يمضي شهر فيفري 1864م حتى تمت الاستعدادات للثورة ثم اشتعلت نيرانها يوم 8 أفريل 1864م، حينما باغتت قوات أولاد سيدي الشيخ مخيّم الجيش الفرنسي في هضبة بوبكر شرق البيض، وهنا قتل سي سليمان، ورغم ذلك فقد استمرت المعركة وانتصرت قوات الثورة، وقد أثار هذا الانتصار إعجاب الجميع فنهضت الجزائر من أقصاها إلى أقصاها، وبدأت القبائل تنضوي تحت لواء هذه الثورة وخاصة من الجنوب الوهراني وحتى التل[3].

وقد اعترف الفرنسيون بمقتل ما يزيد عن مائة من جنودهم من بينهم 3 ضباط، وأثارت هذه الانتصارات المتوالية التي كبدت الفرنسيين مئات من القتلى في شهر واحد، ثائرة الجيش الفرنسي الذي راح يصبّ نقمته على المدنيين العُزَّل مرة أخرى، ويحرق المدن والقرى بسكانها، واستمرت هذه الثورة سنوات عديدة تحت زعامة أولاد سيدي حمزة[4].

---

[1]- عبد الله مقلاتي، صالح لميش، **البعد الثوري للطريقة الشيخية ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي**، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2001، ص ص: 119- 120.

[2]- إبراهيم مياسي، **ثورة أولاد**....، ص 201.

[3]- إبراهيم مياسي، **توسع**....، ص 33.

[4]- عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج1، دار البعث، الجزائر، 1991، ص 33.

وكانت فترة ما بين 1869- 1876م مرحلة "قدور بن حمزة"* حيث شهدت منطقة جنوب إقليم وهران في هذه الفترة وضع سيء، فمن الناحية الأمنية فإن الحالة كانت غير مستقرة، وكان الثوار يجدون في المغرب مهربا لهم، بالرغم من أن ثورة أولاد سيدي الشيخ كانت مستمرة بزعامة قدور بن حمزة، فقد استطاع هذا الأخير أن يجمع كثيرا من القبائل والأنصار وأن يهجم على التل والصحراء، أما من الناحية الاقتصادية فلم يكن الجنوب الغربي على ما يرام أيضا، فقد غزا الجراد من جديد وسقط البرد بكثرة، ونزلت أمطار غزيرة بعد الجفاف الخطير الذي عرفته البلاد، وهبّت ريح السموم في وقت التلقيح والتزهير، وكل ذلك أضرّ بالفلاحة ضررا بالغا[1].

ولقد كان الفرنسيون معتمدين على انقسام الأسرة إلى شراقة وغرابة أكثر من اعتمادهم على ولاء الزعماء، حيث قاموا بتعيين "سي سليمان بن قدور" زعيم الغرابة آغا على البيض وحميان عام 1869م، بنصيحة من الجنرال "شانزي" بعد أن دخل في طاعة الفرنسيين بأتباعه، غير أن هذا التعيين تسبب في تحول "سي معمر بن الشيخ الطيب" رئيس فرع الغرابة إلى خصم لدود له وللفرنسيين معا ابتداء من أفريل 1873م وأثار ذلك متاعب للآغا الجديد "سي سليمان" الذي انتهى به الأمر إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية في عين تيموشنت بعض الوقت، حتى فرّ إلى المغرب الأقصى يوم 12 أفريل 1873م مع عائلته، ومعظم أسرة أولاد سيدي الشيخ الآخرين الذين كانوا إلى جانبه[2]، وقد حاولت السلطات الفرنسية أن تعيده إلى الجزائر فاتصلت بسكان المغرب الأقصى وضغطت عليه، فأوعز إلى محكمة فاس، لتدلي برأيها في الموضوع وأصدرت

* هو رئيس قبائل أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ومعه عقدت فرنسا الصلح منذ 1883م. أنظر: وزارة المجاهدين، **مدخل...**، ص 114.

[1]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة...**، ص 198.

[2]- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20م**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 288.

حكما بإيقافه، وبعد ذلك إلتحق سي سليمان بن قدور بأبناء عمومته ليقاوم الاحتلال الفرنسي للجزائر[1].

كما أعطت ثورة 1871(المقراني) لأولاد سيدي الشيخ نفسا جديدا، وقد اضطرت السلطات الفرنسية لإبداء رغبتها في التفاوض مع سي قدور، لكن هذا الأخير الذي قبل التفاوض تراجع عن موقفه ودخل مع القوات الفرنسية في معركة أفريل 1871 التي أظهرت تقهقرا في جانب الثوار مرده بروز الخلافات بين زعماء الثوار، إذ تفرق بعدها الزعماء في أماكن عديدة، واختار سي قدور مفاوضة الفرنسيين، وبعد سنة 1873 فترت المقاومة ولم يشن ثوار أولاد سيدي الشيخ سوى بعض المناوشات ضد المعارضين لهم بالبيض والحدود المغربية، فأدّت سنوات الحرب الطويلة والانشقاقات التي حدثت داخل الأسرة إلى فتور نشاط الثوار[2].

وبالتالي كانت أوضاع منطقة الجنوب الغربي الجزائري في أواخر الثورة متدهورة بحكم الظروف العسكرية والشتات الذي لحق بها، فما كادت جذوة ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة تخبو حتى ظهرت ثورة أخرى أكثر مراسا وأشد عنفا وهي المتمثلة في ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية، أي بعد ظهور زعيم من فرع الغرابة متحديا أولاد عمومته الشراقة الفارّين من جهة، وصامدا أمام تسلط وتجبر القوات الفرنسية من جهة أخرى، وهذا الزعيم هو "الشيخ بوعمامة"[3]. والذي سنتعرف على شخصيته في الفصل الموالي.

1- Charles Rober Ageron, **Les Algérien Musulmans et la France(1871- 1919),** Paris, puf, 1968, p 62.

2- عبد الله مقلاتي، صالح لميش، **البعد الثوري...**، ص 125.

3- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي....**، ص 271.

الفصل الثانـي

شخصية الشيخ بوعمامة

المبحث الأول: مولده ونسبه

المبحث الثانـي: نشأته ومكانته بين القبائل

المبحث الثالث: نظرة بعض المعاصرين للشيخ بوعمامة

المبحث الأول: مولده ونسبه

الشيخ بوعمامة هو أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ عبد القادر بن محمد* المعروف بسيدي الشيخ، وهو من بني عمومته سي سليمان بن حمزة زعيم الانتفاضة المسماة في التاريخ ثورة أولاد سيدي الشيخ، دخل بوعمامة التاريخ من بابه الواسع، واشتهر حتى بلغت شهرته الأصقاع والآفاق مشرقا ومغربا، لأنه أشرف على مقاومة كادت أن تَعُمّ الغرب الجزائري بأكمله، بل لأنه أدرك بالبديهية الصائبة والرأي الراجح الدور الذي يجب أن تلعبه الزاوية الروحية[1].

فالشيخ بوعمامة هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج والمشهور بالشيخ بوعمامة[2]، وهي التسمية التي لازمته طول حياته لكونه كان يضع عمامة على رأسه، شأنه في ذلك شأن كل العرب[3]، ولد بقصر الحمام الفوقاني بفقيق المغربية** حوالي سنة 1838 أو 1840م[4]، ولكن اختلفت الروايات في مكان ولادته، فهناك رواية تذكر بأنه ولد في فرعة مستورة قرب نخلات بن إبراهيم في وادي زوزفانة وهذا جنوبي بلدة بني ونيف وليس

---

* هو عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة مؤسس الطريقة الشيخية، يعود نسبه إلى الخليفة أبي بكر الصديق، تعلم اللغة العربية والفقه والقرآن، درس المذهب الصوفي، استقر ببلدة فقيق وأنشأ بها زاوية تدعى "العباد". أنظر: عبد القادر خليفي، **الطريقة الشيخية (أصولها وأذكارها وانتشارها)**، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص ص: 16- 17.

[1]- إدريس بن خويا، **البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة**، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص ص: 105- 106.

[2]- العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 263.

[3]- عاشور شرفي، **معلمة الجزائر (القاموس الموسوعي)**، دار القصبة، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 382.

** فقيق هي مجموعة قرى تمتد على نحو 20 كلم^2 ، تشمل سبعة قصور كلها تابعة اسما لسلطة المغرب الأقصى، ولكن تتصرف فيها إدارة الجنوب العسكرية الفرنسية، ولا يتبع قطر الجزائر منها إلا قرية بني ونيف. أنظر: أحمد توفيق المدني، **أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري**، مج9، عالم المعرفة، الجزائر،2010، ص 160.

[4]- وزارة المجاهدين، **مدخل...**، ص 42.

في الحمام الفوقاني، كما تضيف هذه الرواية ملاحظة ثانية وهي أن الشيخ سُمِّيَ بوعمامة في الأصل ولم يُسَمّى قط محمد كما شاع[1].

هو سليل عائلة أولاد الحرمة التي تنحدر من أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول "سيدي الشيخ"، وقد حُصر هذا الفرع في التراب المغربي بمقتضى معاهدة لالة مغنية، لذلك يطلق عليهم أولاد سيدي الشيخ الغرابة[2]، وقد خلّف سيدي الشيخ ثمانية عشر ولدا، توفي منهم سبعة لم يخلفوا خلفه، أما ابنه التاج فكان الابن الثالث عشر الذي ولد من أمّ فقيقية، وكان التاج مدلّلا عند والده، حيث كان يمنعه من الخروج خوفا عليه وأعطى أوامر صارمة في ذلك، ولذلك يدعى "بالتاج المخفي"*، حيث أنجب سيدي التاج ولدين هما عبد الرحمن وإبراهيم، وهكذا انقسم أبناؤه إلى قسمين: أولاد عبد الرحمن وهم المعروفون إلى اليوم "بأولاد سيد التاج" والمتواجدون بنواحي عين الصفراء**، وأولاد سيدي إبراهيم يدعون بـ "أولاد بلحُرْمة" أو الحرم نسبة إلى الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج[3]. أنظر الملحق رقم (01).

---

[1]- عبد القادر خليفي، **الطريقة الشيخية**، ط2، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2010، ص ص: 114-115.

[2]- إبراهيم مياسي، **الشيخ بوعمامة والجنرال سوسييه وجها لوجه**، مجلة الذاكرة، ع4، المتحف الوطني للمجاهد،(ب، ب، ن)، 1996، ص 197.

* حول هذا اللقب قصة تتلخص في: أن سيدي الشيخ عمل على إخفائه عن الناس إلى سن البلوغ، وذلك حذرا من أن تصيب ابنه "التاج" عين حاسدة، ومرّة صادف أن كان سيدي الشيخ في جلسة مع وفد من قبائل العمور جاء لتأدية الزيارة، وإذا بالولد يرتمي في أحضان والده فتساءل الناس عنه، فرد الشيخ بأنه ابنه المفضل "التاج"، وقد حَرصتُ على إخفائه خوفا عليه من حسد الحاسدين، فَسُرَّ الحاضرون وعبّروا عن فرحتهم بشيخهم الصغير، وأعلنوا عن دفع الغفار إليه في المستقبل. أنظر: عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881-1908 (جانبها العسكري 1881-1883)**، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 40.

** هي قرية صغيرة للقطاع الوهراني، ذات طابع صحراوي، تتربع على 200 مسكن تقريبا، غير محمية بصور، مهددة من الجانب الجنوبي بالرمال التي تحملها الرياح، بها عدة منابع ماء تنزل من الجبل وتحمل إسم واد الصفراء، سكانها هم: بني مترف والدغامشة. أنظر:
Le Marechal , Duc De Dalmatie, **op.Cit**, p249.

[3]- عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص 113.

فهذا الأخير– الحرمة بن محمد حفيد إبراهيم– كان من صفاته الرزانة ومن سماته رجاحة العقل والوقار، حيث ظل طيلة حياته محل احترام وتقدير، ولاسيما من طرف نعيمي بن أبي بكر رئيس الفرع الأكبر لأولاد سيدي الشيخ الشراقة وإليه نُسِبت الأجيال التي تناسلت من بعده "بأولاد الحرمة"[1]، فاستقر فرع بن الحرمة في مدينة فقيق المغربية، بينما فرع أولاد سيدي التاج استقر في منطقة عين الصفراء، وذلك إثر خلاف وسوء تفاهم وقع بينهم في أواخر القرن 18م حول البحث عن النفوذ والسلطة و الاستحواذ على مداخيل الزوايا التي كانت قبلة الآلاف من الزائرين من مختلف ضواحي الأبيض سيدي الشيخ.

أما بالنسبة لوالد الشيخ بوعمامة هو "الشيخ العربي بن الحرمة" الذي كان يزاول مهنة بيع البرانس والحلي ما بين منطقة فقيق والمغرار التحتاني*، وبقي يمارس هذه المهنة حتى وافته المنية في هذه المنطقة عام 1879م[2]، ويعتبر جد بوعمامة "إبراهيم بن التاج" من ضمن أولاد سيدي التاج لمعوا بفضل إقدامه وبسالته اللتين أكسبتاه نفوذا لدى القبائل العربية، ومكّنتاه من ثروة طائلة، امتد صداهما حتى بلغ بلاط مولاي الرشيد الثالث سلاطين الأسرة الفلالية، وقد ساور هذا الأخير خوف من انتشار سمعة إبراهيم الطيبة، كما راوده طمع في الاستيلاء على ثروته، فأدى به الحال إلى السير على رأس جيش عرمرم لمحاربته، لكن النصر في النهاية كان حليف إبراهيم الذي تألق نجمه وعلا، في حين لاذ العدو بالفرار بعد خسارة كبيرة في صفوفه لحقته في منخفض مالحة الواقع شمال جبل مالحة، الذي أصبح منذئذ يسمى حوض مولاي الرشيد[3]. كما أن إبراهيم بن التاج كان يزور الجزائر في كل عام لجمع أموال الزيارات من أتباع

---

[1]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ...، ص 39.

* تتواجد قرية مغرار التحتاني أسفل قرية مغرار الفوقاني، تتربع على 200 منزل تقريبا، لا يحيطها صور، بها حوالي أربعة آلاف أو خمسة آلاف نخلة. أنظر: Le Marechal, Duc De Dalmatie, **op.cit**, p 251.

[2]– الطيب بن نادر، **الجزائر حضارة وتاريخ(الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف)**، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 72.

[3]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة**...، ص ص: 38–39.

أسرة أولاد سيدي الشيخ في التل الوهراني والصحراء، وفي إحدى هذه الزيارات توفي ودفن لدى بني إسماعيل في سبدو، وبنيت عليه قبة وضريح[1].

المبحث الثاني: نشأته ومكانته بين القبائل

انخرط الشيخ بوعمامة في سلك حلقات العلم منذ نعومة أظافره، حيث تدرّج من الكُتّاب لحفظ القرآن الكريم ومبادئ الخط إلى أن تدرّج في طلب العلوم الدينية من خلال مبادئ العقيدة الإسلامية مرورا بكل المدارس الكلامية إلى الفقه وعلومه، ثم انكب على دراسة التصوف والطرق الصوفية التي كانت لها التأثير العميق على حياته وعقيدته وتصوره[2].

وإلى جانب حفظه للقرآن الكريم يشير بعض المؤرخين أنه تعلم طقوسا غريبة تتصل ببعض الخرافات التي تشوب بعض الطرق الصوفية التي يتعمدون إحاطتها بالسرية والكتمان، لكي يهوموا بها الناس البسطاء أن في أيديهم معرفة يحمله الغيب[3]، كما تشير بعض المصادر الفرنسية أنه أصيب بمرض الصرع في صباه وكانت تعتريه حالات عصبية وحالات غيبوبة يقوم خلالها بحركات سحرية[4]، حيث ادعى الضابط "فاشي" بأنه أصيب بمرض عقلي استلزم على أهله أن يزوروه عددا من المزارات طلبا للشفاء كضريح سيدي الشيخ في الأبيض سيدي الشيخ، وضريح سي سليمان بوسماحة في بني ماسيف بالشلالة* الذي بقي فيه عام كامل[5].

---

[1]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر...**، ص 290.

[2]- محمد الأمين بلغيث، **تاريخ الجزائر المعاصر (دراسات ووثائق)**، دار البلاغ، الجزائر، 2011، ص 64.

[3]- عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 602.

[4]- عبد المجيد بن نعيمة، **موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (ب، ب، ن)، 2007، ص 93.

* الشلالة قرية صغيرة تشمل 50 منزل مبنية بالحجر الصلصالي، محاطة بجدار يحميها، مفتوحة على ثلاث جهات تسمى: باب أم عامر، باب الظفر، باب الخرابيش. أنظر: Le Marechal, Duc De Dalmatie, **op**,**cit**, p 241.

[5]- يحيى بوعزيز، **أضواء على ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني(1881-1908)**، مجلة الثقافة، ع68، الجزائر، 1986، ص 13.

ونجد بعض التقارير المختلفة تصف الشيخ بوعمامة بأنه مُجرّد رجل مهوس، بينما ذكرته تقارير أخرى بأنه رجل دين، صاحب طريقة، مرابط يجمع أموال الزكاة لينفقها على أصحابه المجاذيب من مريدي الطريقة، والبعض وصفه بأنه مجرد مجنون مدروش[1]، ولكن هذا لم يمنع من نمو وتطور شخصيته، والدليل على ذلك من خلال إلمامه بالمعارف، فقد كان يحسن اللغة الإسبانية غاية الإحسان، ويتكلم بها على وجه الصحة، ويتكلم أيضا من اللغة الإيطالية بما فيه الكفاية، ويفهم جيدا معنى الكلام باللغة الفرنسية وإن كان لا يتكلم بها، بالإضافة إلى عنايته بالديانة فقد حج مرارا إلى مكة المكرمة حجّات متوالية، وفي كل واحدة منها يمر بتونس ويقيم بها مدة طويلة.

أما من حيث البنية والجسم فإنه قصير القامة لأن طوله لا يتجاوز مترا واحدا وخمسين سنتيمترا، كان حَسَنُ الهيئة، ذو منظر ينطق عليه بالذكاء وجودة الفطنة، وهو حاد العينين، صغير الأنف، غليظ الشفتين، مُسْمَرُّ اللون، خفيف اللحية، كبير البطن، حركاته سريعة جدا، كان مولعا بهجاء الغير، شهم الجنان، شديد السطوة على جيوشه، غير أنه ليّن العريكة مع من يلازمه منهم[2]، ولم يكن ذا شأن كبير في صباه[3]. أنظر الملحق رقم (02).

ويختلف المؤرخون في طبيعة البيئة التي نشأ فيها الشيخ بوعمامة، فالبعض يقول أنه نشأ في بيئة دينية، حيث اتبع حياة الزهد والنسك على غرار أجداده فيقضي معظم وقته في التعبد أو تعليم القرآن، أو دراسة المسائل الفقهية التي تطرح عليه، فهو إذا رجل دين وسلام لا رجل حرب وعدوان[4].

---

[1]- إدريس بن خويا، **مرجع سابق**، ص 108.

[2]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ص ص: 41-42.

[3]- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر** ...، ص 290.

[4]- إبراهيم مياسي، **الشيخ بوعمامة والجنرال**...، ص 290.

والبعض الآخر يرى أنه نشأ في بيئة بدوية قاسية، إلا أنه كان لأسرته مكانة دينية معتبرة في المنطقة التي تقيم بها، فهذه البيئة القاسية جعلته ميّالا إلى العنف والنزعة القوية إلى الاستبداد، والتطلع الكبير إلى الحكم منذ صغره، ساعدته الظروف الزمنية والمكانية على تحقيق جل ما كان يطمح إليه، لأن المنطقة التي كان ينتشر فيها نفوذ عائلته وهي مناطق (بشار، توات، البيض، عين الصفراء)، كانت تسكنها قبائل تشتهر بشدة بأسها وقوة شكيمتها[1]، كما أن هذه البيئة عُرفت بالتوتر والغليان في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وانعدام ما يسمى بالدولة، إضافة إلى طغيان قطاع الطرق، خاصة وأن المنطقة حدودية، وهناك ما يسمّى مخزن السلطان لا يتساهلون مع هذه القبائل، فهم يمارسون معهم سياسة العصا الغليظة، وكان احتراف الرعي لا محيّد منه للشباب، يمتهنون التجارة وعن طريق القوافل يكونون همزة وصل بين الصحراء والتل الوهراني[2]. والرأي الغالب هو أنه نشأ في بيئة دينية، نظرا لسمعة عائلة أولاد سيدي الشيخ الدينية، فهي عائلة عريقة النسب، إضافة إلى أن تكوين الشيخ بوعمامة الديني والعلمي، يسمح له بأن يكون له تأثيرا كبير في نفوس القبائل المجاورة، دون الاعتماد على القوة والبأس، فكان همّه الوحيد هو محاربة العدو الفرنسي.

قرر والد بوعمامة "سي العربي بن الحرمة" أن يجعل ابنه ملازما للشيخ محمد بن عبد الرحمن أحد مقدمي الطريقة الشيخية*[3]، فغادر بوعمامة وعائلته فقيق نهائيا عام 1875م وانتقل

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، **معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و20**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2002، ص 296.

[2]- إدريس بن خويا، **مرجع سابق**، ص 106.

* هي طريقة بالجنوب الغربي الجزائري تأسست عام 1544م، على يد الشيخ عبد القادر بن محمد بمنطقة البيض، أصولها شاذلية، تفرعت إلى زاويتين الشرقية والغربية، أعلنت الجهاد المقدس ضد الإسبان وبعد الاحتلال الفرنسي كانت الشيخية من بين الأطراف الداعية إلى الجهاد الشعبي، وكان أطول جهاد هو الذي خاضته الزاوية الغربية للطريقة بقيادة بوعمامة. أنظر: وزارة المجاهدين، **أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية**، الجزائر، 2007، ص ص: 101-102.

[3]- إدريس بن خويا، **مرجع سابق**، ص 106.

إلى مغرار التحتاني بجنوب الجزائر الغربي، حيث منحت له قطعة أرض أسس عليها مسكنا[1]، وهناك بالمغرار التحتاني أسس زاوية على غرار زوايا أجداده، وأصبح أحد شيوخ الطريقة الشيخية بإشارة من شيخه محمد بن عبد الرحمن مقدم* الطريقة، فعمل بوعمامة على تجديد هذه الطريقة ونشرها بين السكان هناك، فأصبح مقصدا للعديد من الأتباع والراغبين في رؤيته والتبرك به وبدعواته، وذلك كونه ينتسب إلى العائلة الشيخية ذات الشأن الكبير في المنطقة الجنوبية الغربية لأنها من "المرابطين"** المحترمين من قبل السكان لانتسابهم إلى جدهم الأعلى "أبي بكر الصديق" رضي الله عنه، وإلى سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد[2].

فكانت الطريقة الدينية هي طريقة أجداده التي تستمد طقوسها من الطريقة الطيبية*** ذات الشهرة والانتشار بالمغرب الأقصى والمغرب الجزائري، ونجد الضابط "دوفيريي" قد ادعى بأن طريقة بوعمامة هي الطريقة السنوسية التي هي طريقة عائلة الكونتي في تمبكتو، وكل غرب إفريقيا، تلك التي لها قرابة مع أولاد سيدي الشيخ، ولكن ما هو معروف أن طريقته الأم هي الشيخية، إلا أنه يظهر أن للسنوسيين تأثيرا كبيرا عليه[3].

---

[1]- عبد المجيد بن نعيمة، **مرجع سابق**، ص 93.

* يقصد بالمقدم هو منصب ديني، يقوم صاحبه بمساعدة شيخ الطريقة الصوفية في مختلف المهام، ويكلّف في الغالب بتمثيل الشيخ في بلدته أو في قبيلته. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة** ...، ص 614.

** المرابطون هم رجال الدين والجهاد، المنقطعون في الرباطات من أجل الجهاد والعبادة، أصحاب الزوايا، الأشراف دينيا. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة** ...، ص 614.

[2]- عبد القادر خليفي، **محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، (ب، ب، ن)، 2010، ص ص: 305- 306 .

*** تأسست على يد الصوفي المغربي المعروف "مولاي عبد الله بن إبراهيم الوزاني" من أشراف المغرب الأقصى الملقب بالشريف، وانتشرت داخل الجزائر وأصبح لها فروع ومقدمون، منها الزاوية الطيبية بمعسكر، ثم نسبت إلى مولاي الطيب، وهي شاذلية الأصل، وكانت مُشَكَّلة في الغرب الجزائري من طرف مقدمها "الحاج التهامي بن عمر". أنظر: صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص: 150-151.

[3]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**...، ص 290.

وبالتالي بثقته الكبيرة في تحصيله العلمي واجتهاده طرح على أتباعه ومستمعيه مجموعة من الأفكار التي لم يعرفوها من قبل، حيث طرح عليهم مسألة تكاد تكون حتمية دينية وروحية، بل واعتقاديه هي مسألة "الولاية والبركة"، إذ أن فهمه العميق قد أكسبه روح النقد فمنطقه الصوفي لا يخرج عموما عن الطريقة الشيخية، إلا أن خروجه عن المألوف كما يدعو أتباعه ومستمعيه ومريديه هو في صياغته لمسألة الولاية والبركة حيث يقول:"إن الولي أيّ كانت درجته في سلم الطريقة الصوفية، إذا ما حل به الموت فإنه بإمكانه أن يترك سبيل هذه الولاية أو البركة لأتباعه يتوارثونها كابر عن كابر"، بمعنى أوثق أنه أوّل تجديد في لغة الحوار بين أتباعه، وكانت فكرة الولاية والبركة وأساسها فهم الشيخ بوعمامة أو حتى منبعه الإيمان العميق، وتوحيد الله سبحانه وتعالى[1].

بقي بوعمامة أمام ضريح جده إبراهيم بن سيدي التاج المتوفى أواخر القرن 17م، وقد تزوج من ابنة عمه "ربيعة بنت المنور"[2]، وكان له عدة أبناء أكبرهم ولده الطيب* الذي أصبح ساعده الأيمن بعد أن شبّ وبلغ مبلغ الرجال، كما أن الشيخ بوعمامة تزوج بعدة نساء من غير ابنة عمه ربيعة، من قبائل مختلفة بغرض تعزيز الألفة والأخوة وكسب الأعوان وجمع الصفوف[3].

فقد عمل على تنفيذ وصيّة جده والتي هي "إحياء التقاليد بالطريقة الشيخية القائمة على الورع والتقى والتقوى"[4]، فكان دائم التأمل في الكون والخالق والأبعاد الصوفية، التي لها التأثير

---

[1]- محمد الأمين بلغيث، **مرجع سابق**، ص ص: 66-67.

[2]- عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص 116.

* ولد سيد الطيب بن بوعمامة حوالي سنة 1867 ببلدة فقيق أو بنواحيها، تعلم القرآن والعربية بقيق ثم بمغرار التحتاني بزاوية أبيه، شارك في جهاد الفرنسيين إلى جانب والده، تولى مشيخة الطريقة بعد والده بوصية موثقة. أنظر: عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص 212.

[3]- عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص 118.

[4]- عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 602.

العميق على حياته وعقيدته وتصوره كما كان يفكر في واقع الناس، وما آلت إليه البلاد من ظلم وتجبر من قبل احتلال القوات الفرنسية للتراب الجزائري[1].

والذي يسترعي الانتباه لدى هذا الزعيم الديني، أو الشيخ الناسك بالمصطلح المعروف والشائع حتى اليوم، هو أنه لا يتحدث إلا بالقرآن، ولا يكاد ينطق في أحاديثه وإستشهاداته إلا بكلام الله، وهذا الكلام كما هو معروف لا ينطوي على الحقيقة المنزلة الموحي بها فحسب، بل ينطوي زيادة على ذلك على قوة تجنيدية فائقة[2]، فتميز بقدرة فائقة في الحفظ والفهم، وقد أصبح منذ فترة مبكرة على درجة كبيرة من العلاقات بكبار المشايخ والمقدمين بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري، التي يعرف قصورها وقبائلها معرفة ستجعل من رحلاته خلال مرحلة التحصيل العلمي مقدمة ايجابية[3].

كما أن الشيخ لم يعاد بقية الطرق الصوفية المتواجدة على الساحة، بل كان يعمل على تأليف القلوب وجمع الشمل، في وقت كان الناس أحوج ما يكونون إلى من يستند بأيديهم ويرص صفوفهم، وإلى جانب ذلك كان يعمل على إحياء طريقة الأسلاف[4]، ولهذا فقد شكّل شبكة من العلاقات المتينة بين إتباع الطرائق الصوفية غير الطريقة الشيخية، كما ربط علاقات مع أتباع ومحبين من أهل توات والشعانبة*، وتمكن من كسب علاقات كبيرة مع كثير من القبائل والشخصيات المحلية، واستطاع أن يخترق النفوس الساكنة بلغة وأسلوب جديدين ودعوة من

---

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص ص: 272-273.

[2]- بوعلام بسايح، **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830-1954**، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 187.

[3]- محمد الأمين بلغيث، **مرجع سابق**، ص 64.

[4]- عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص 117.

* تقع بلاد الشعانبة في جنوب بلاد ميزاب، وقد رسخ فيها قدم الإسلام على مذهب مالك بن أنس، تدعى نبيلة الشعانبة، رجالها أهل صلاح وكفاح، وتنتشر هذه القبيلة فوق أرض تمتد مابين مدن القليعة ومتليلي وهي عاصمتهم الإدارية، وورقلة وكلهم من الرعاة، وعددهم نحو 15 ألفا من النفوس، وأشهر حواضرهم: القليعة وورقلة. أنظر: أحمد توفيق المدني، **مرجع سابق**، ص ص: 151-152.

خلال الأفكار التي كان يروج لها، فزرع الأمل في نفوس الأهالي وبشّرهم بقرب الخلاص من كابوس الاستعمار[1].

فلم يرث الزعامة أو المكانة عن أب أو جدّ، ولكنه استطاع بشخصه وسلوكه أن يكسب الناس من كل الجهات، لقد أعاد لهم ما كانوا قد فقدوه، وما كانوا في حاجة إليه من تماسك وتآزر يجمع شملهم، وتعيد لهم الأمن والاستقرار، وتحيي مجدا غابرا قضى عليه ذوو الأغراض المادية[2]. ويعود نشاطه هذا إلى جلب انتباه الرقابة العسكرية تتحدث عن شعبيته في أوساط القبائل الصحراوية، وعن التفافها المتزايد حول زاويته، وخاصة قبائل رزاينة وحميان* والطرافي[3]، وبذلك تسارعت الأتباع والمريدون إليها (الزاوية) بأعداد كثيرة، فتضاعفت الهدايا والهبات، وانهالت الأرزاق عليها والأموال والخيرات من تلك القبائل[4].

بالإضافة إلى هذا فقد اعتمد بوعمامة على أسلوب آخر– وذلك حسب الوثائق الفرنسية– لكسب ثقة مريديه ، إذ كان يقوم بتنفيذه لمشاهد خارقة، وتقديمه لعروض سحرية مدهشة للمشاهدين وباهرة للزوار وإذا باعتقاد الكل في برهان الشيخ وبركاته، وبذلك تذكر هذه التقارير بقولها:" إن الزائرين لبوعمامة يروحون عقلاء ويغدون مجانين"[5].

---

[1]– إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**...، ص 273.

[2]– عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص ص: 117–118.

* يتواجد عرش الحميان في المنحدرات الشمالية للسلسلة الجبلية لأولاد سيدي الشيخ، كما كل قبائل الصحراء لها تغيران مناخيان، وينقسم عرش الحميان إلى قسمين: حميان الشراقة وحميان الغرابة. أنظر: Le Marechal, Duc, de Dalmatie, **op.Cit,** p 255

[3]– عبد الحميد زوزو، **أضواء على ثورة بوعمامة1881**، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع31، (ب، ب، ن)، 1976، ص 20.

[4]– بوعلام بسايح، **مرجع سابق**، ص 187.

[5]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة**...، ص ص: 10–11.

بعد أن تكاثر عدد أتباع ومريدي الشيخ، وإلى جانب قيادته الدينية هذا ما جلب له حسد الحاسدين وكيد الكائدين، لذلك ناصبه العداء من بعض زعماء العائلة الشيخية، لأنهم رأوا فيه المزاحم لهم في الزعامة واعتبره البعض غير أهل لتلك القيادة[1]، حيث رفضت بعض القبائل التلّية لزعامته والتشكيك في أمره[2]، فحسب المؤرخ "عبد القادر خليفي"، أنه كان هؤلاء الزعماء أناس ماديون، أما الشيخ بوعمامة فكان رجلا صالحا، ذا خلق كريم، صاحب مبادئ وأهداف نبيلة[3]، إذ كان غرضه تجديد الطريقة الشيخية ونشرها، بإحياء أذكارها وأورادها بين الناس، بعد أن كادت الطريقة تنمحي وتزول لغياب الشيخ الموجه، متوخيا تغيير اسمها تفاديا للصراع الذي قد ينشب مع بني عمومته، حتى وإن بدّل فيها بعض ما يمكن أن يبدّل من أشياء طفيفة لا تمس جوهر الطريقة، كما أنه كان يدعوا إلى المصالحة، وتوحيد الجهود في وجه الغزو الفرنسي ونبذ الفرقة والخصام[4].

فبعدما أعلن الجهاد عام 1881 لتحرير الوطن انضمت إليه العديد من الطوائف، وبالتالي تألقت مكانته وشاع ذكره مما ضاعف من جهود الكائدين له، وخاصة من قبل السلطات الفرنسية التي كانت تهدف إلى إضعاف الجميع بزرع الشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة، فتضرب هذا بذاك وتستميل هذا بالمال والجاه وتنشر الحقد والكراهية ضد ذاك، ولكن بوعمامة لم يرضى بتقلد المنصب والجاه بل كان يرفض ذلك، وفضّل الغربة والفقر على المغريات المادية، فهو لم يطلب الزعامة الدنيوية بل أتته صاغرة، فكان يرى بأنها ليست زعامة المتاع

---

[1]- عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص ص: 143-144.

[2]- عبد الحميد زوزو، **أضواء على ثورة**...، ص 92.

[3]- عبد القادر خليفي، **الطريقة**...، ص 144.

[4]- إدريس بن خويا، **مرجع سابق**، ص 108.

والأبهة ولكنها زعامة المتاعب والأهوال، وقد عبّر عنها أحد الرواة الشعبيين في قول الشيخ:

"الله الله يا ربي الصالحين أعطيتهم السر والهنا وأنا أعطيتني السَّرْ والهَوْل"

فقد حوصر الشيخ ذات مرة في زاويته من قبل بعض أقاربه للقبض عليه، ولكنه رفض مقاومتهم وفضل الانسحاب من الميدان ليس ضعفا ولكن حقنا لدماء المسلمين من أن تهرق بأيدي بعضهم البعض، فأقسم أن لا يحارب أحدا من إخوته الشيخيين رغم إلحاح عدد كبير من مقدميه من أجل المقاومة والدفاع عن النفس، لذلك يعتبر أخطر خصم للإنسان هو ابن جلدته، فهو الأدرى والمطلع على خباياهم وأسرارهم[1].

كما نجد هؤلاء الأعداء اتهموه بإرغام الناس على إتباعه دون حق، وهم يقصدون القبائل التي تركتهم وانضمت إلى الشيخ، ولكن بوعمامة نفى هذه التهمة، فهو كان يخيّر هؤلاء بين الانضمام إلى حركته أو العودة إلى أوطانهم، ويذكرهم بأن الوقوف معه يعني التشرد وصعوبة العيش وترك الأوطان، وبالتالي فقد تعرض إلى العديد من الإهانة كالشتم والتحقير، ولكن رده كان لبقا يقابل السيئة بالحسنة وبالكلمة الطيبة، وكان يوصي أصحابه بإتباع هذا الأسلوب في معاملة إخوانهم[2].

كان الشيخ يتابع مجريات الأحداث، خاصة ما كانت تعانيه البلاد من ويلات الاحتلال الفرنسي، الذي كان يزحف نحو الجنوب لبسط نفوذه على كامل مناطق الصحراء، وكان يتابع بتأثر أخبار المقاومة الباسلة التي كان يبديها المجاهدون الجزائريون لهذا الاحتلال في كامل جهات الوطن، ولأن الشيخ بوعمامة كان يحدوه حماس للجهاد في سبيل الله من أجل تخليص

---

[1]- عبد القادر خليفي، **الطريقة** ...، ص ص: 144-145.

[2]- عبد القادر خليفي، **صور الشيخ بوعمامة في المأثور الشعبي**، مجلة المصادر، ع6، (ب، د، ن)، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 5.

البلاد من وطأة الاستعمار، فقد أخذ يوقد نار الأمل في مريديه وزواره، ويبشرهم بقرب الخلاص من الاحتلال الفرنسي ويعدهم بإشعال نار الحرب ضده، وتخليص البلاد من ظلمه[1].

ومن هنا اشتهرت آراءه الجهادية، ففي شهر مارس1880 أصدرت السلطات الفرنسية أمرا بإيقافه واعتقاله، إلا أن الضابط "دوكاستري" رفض بعد أن قابله وتأكد أن سكان المنطقة سيشعلون ثورة إن تم إيقافه، خاصة وأن الفرنسيون لم يكن يفكرون أبدا في إمكانية قيام حركة ثورية ضدهم من قبل ذلك "المرابط الصغير" كما كانوا يصفونه، ولهذا تفاجئوا عندما علموا بتحركات مقدميه وأهدافهم الداعية إلى الاستعداد "ليوم الفرحة"[2]، وبعد أن أصبح للشيخ بوعمامة أتباع ومريدون في معظم قبائل المنطقة الجنوبية الغربية تحت زعامة مقدمين، بدأ يستعد للإعلان عن المقاومة وذلك بالحصول على الأسلحة والذخيرة، بواسطة هؤلاء المقدمين، وفي سنة 1881 أعلن الجهاد ضد الفرنسيين فانضمت إليه قبائل عديدة قادها في جهاد طويل النفس[3].

وبهذا نجد بعض المؤرخين وصفه "بعبد القادر الجزائري الثاني"، وذلك بسبب قدرته على محاربة الفرنسيين لمدة 23 سنة، ومثل الأمير عبد القادر الذي ينتمي إلى عائلة عريقة وذات سمعة شعبية، فإن الشيخ محمد بن العربي بن التاج ينتمي إلى عائلة أولاد سيدي الشيخ التي حاربت الفرنسيين لمدة طويلة من الزمن[4]. فقد كان وطنيا شجاعا، وغيورا على الوطن همّاما فأراد أن يخدش شيئا من مهابة الجيش الفرنسي الاستعماري فكان لا يزال يناوشه هنا وهناك،

---

[1]- سعيد بورنان، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830-1962(رواد المقاومة الوطنية في القرن 19م)**، ط2، دار الهلال، الجزائر 2001، ص 186.

[2]- آسيا تميم، **الشخصيات الجزائرية(100 شخصية تاريخية وفكرية)**، دار المسك، الجزائر، 2008، ص 49.

[3]- عبد القدر خليفي، **الطريقة ...**، ص 126.

[4]- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997، ص 150.

فينال منه ويحصل من هجومه على مغانم كثيرة، غير أن الفرنسيين لم يزدهم ذلك إلا إصرارا على متابعته، وإن كانوا يحسبون لذلك ألف حساب حتى لا يقعوا بين مخالب الصحراء وبوعمامة.[1]

ومن هنا نرى مكانة الشيخ بوعمامة وأولاد سيدي التاج وأولاد الحرمة، وبالتالي قد أعطى بثورته هذه أفقا جديدا لذلك المجد القائم على الجرأة والاستبسال، حيث كان وثورته موضوعا للصحافة العالمية والعربية، ومن بينها مكاتب "التايمز" تقول عنه:" أن أبا عمامة قد أصبح عبد القادر الثاني"، وكذلك صحيفة البرهان المصرية تقول عنه:"هو زعيم الثائرين من أهل الجزائر على حكومة فرنسا، قد ذاع صيته في الآفاق وانتشر له ذكر جميل، وحصلت بينه وبين الجنود الفرنساوية في هذه الأيام الأخيرة وقائع في الحقيقة ذات أهمية لمن أمعن النظر فيها منصفا"[2].

المبحث الثالث: نظرة بعض المعاصرين للشيخ بوعمامة

نجد أن شخصية الشيخ بوعمامة ومقاومته لقيت اهتماما كبيرا خلال العهد الاستعماري من قبل الكتاب الفرنسيين عسكريين ومدنيين على السواء، فكتبوا عنها الكثير بينما لم تلقى الاهتمام نفسه من قبل الجزائريين بني جلدته آنذاك[3]، فهناك كُتّابا جزائريين كتبوا عنها إلا أن كتاباتهم لم تكن في مستوى تلك الحركة، أي أنها لم تعط للشيخ المكانة التي يستحقها فلم تُقدّر جهوده حق قدرها، ولم تقل ما كان يجب أن يقال تجاه زعيم وقف في وجه التوسع الاستعماري الفرنسي، حيث وُجِد جل هؤلاء الُكتّاب يعيبون على الشيخ عمله، ويصفونه بأقبح الأوصاف وينعتونه بأشنع النعوت، لأنه قام في وجه أناس، كان هؤلاء الكتاب يضنونهم أفضل منه فهما وقوة

---

[1]- عبد المالك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962(رصد لصور المقاومة في النثر الفني)**، ج1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 113.

[2]- عبد الحميد زوزو، **ثورة ...**، ص ص: 40-41.

[3]- عبد القادر خليفي، **محطات من تاريخ ...**، ص ص: 31-32.

وحضارة، أي أنهم كانوا مولعين بالأوروبيين، وينظرون إليهم من موقع استكانة وخضوع، وأن ما كان يجب على الشيخ بوعمامة فعله هو الإذعان والخضوع ولا شيء غير ذلك[1].

ومن الكتابات الجزائرية حول الشيخ بوعمامة خلال العهد الاستعماري، والتي كتبت في نهاية القرن 19م نجد:

1/ "القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط"، "لأحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي":

تطرق أحمد بن عبد الرحمن الشقراني في كتابه هذا والمحقق من قبل الأستاذ "ناصر الدين سعيدوني" بعد التقديم مباشرة، بالحديث عن بوعمامة تحت عنوان: "**ذِكر انتفاضة بوعمامة**"، يعتبر فيه أن الشيخ بوعمامة مجرد طمّاع في السلطة، وأنه سفيه، ناهيك عن سكرته وغمرته، يعمل لمصلحته الخاصة، ويتبع طريق غير الكتاب والسنة، وأن بوعمامة هذا قد سوّلت له نفسه الأمّارة بالسوء أن الدولة الفرنسية سَتُخرّب على يده، ويكون هو الخليفة على زعمه، ويفتح قواعد البلدان ويسقي كؤوس الذل والاهوان[2].

كما اتهمه بالخروج عن الأعراف بعد أن صار يهاجم القبائل التي عارضته، ويقول: "أنه صار يشن الغارات على من لم يتبعه من المسلمين، وأباح فيه القتل والسبي وأخذ الأموال عقوبة لهم على عدم بيعته ونصرته، وعلى امتناعهم من الدخول في ذلته وورطته، وظن بهم الظنون التي حاشاهم منها إذ ما منهم من أتباعه وصحبته والدخول في ولاية حميته، إلا وفي عملهم أنه لا يدوم أمره، وسيفرّق جمعه وشمله ونفره، ويفرّ ويتركهم في محلهم محابيس، فحينئذ

---

[1]- عبد القادر خليفي، **محطات** ...، ص 32.

[2]- أحمد بن عبد الرحمن الرحمن الشقراني الراشدي، **القول الأوسط في بعض من حل بالمغرب الأوسط**، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 20.

يلحقهم الضرر من جهة الفرانسيس، وقراين الأحوال شاهدة بذلك ودالة على ما هنالك"[1]. أي يوضح أنه سرعان ما سيهزم ويتشتت شمله آنذاك سيدفع هؤلاء السكان الثمن غاليا للفرنسيين، إذ أنه سيضطر هو إلى الفرار ويتركهم في مكانهم محابيس.

ويذكر المؤلف عبد القادر خليفي أن الشقراني ذكر أن الفرنسيين خرجوا كالجراد المنتشر لتأديبه وقطع دابره وأمنيته، وأنهم هدموا قبة سيدي الشيخ ودفعوا عظامه في البيض، ولو كان غيرهم ما فعلوا ذلك، أي أنهم إنسانيون لأنهم حملوا رفات الميت ودفنوها ولم يرموها أو يُمثّلوا بها، أما بوعمامة فهو جبان فرّ من الميدان وأنه لو ينظر لهذه الدولة العظيمة والأمة الجسيمة والجيوش الغزيرة والإقامة الكبيرة، وأنه ندم عندما جد الجد على كل أعماله وبحث عن النجاة بنفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ثم عدل عن أهدافه في الجهاد والرئاسة، ويعيد إليه ما عنى السكان من سخرة وشدة وتضييق وسفك لدمائهم وسبي لذراريهم ونسائهم من قبل الفرنسيين، كما أنه كان السبب في توغل الفرنسيين إلى أبعد الجهات وملئها بالعساكر والجيوش[2]. كما اعتقد الشقراني أن بوعمامة تنبأ بزعامته في الأحلام فبادر إلى العمل، ويعتبر ما رآه بوعمامة مجرد تخيل في المنام، ثم يذكر أنه لم يبايعه أحد وبالتالي فلا حق له في قيادة جماعة المسلمين[3].

من خلال ما سبق نرى أن الشقراني نفى عن الشيخ بوعمامة كل الصفات النبيلة، وفسّر أن ما قام به عدوانا وطغيانا وجهلا بالأمور لوقوفه في وجه فرنسا القوية، كما اعتبر كل أعماله لاغية، فنلاحظ أنه نعته بأحطّ الصفات، وحاول أن يعطي للقارئ صورة مشوّهة لا تتماشى

---

[1]- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، **المرجع السابق**، ص 21.

[2]- عبد القادر خليفي، **محطات من تاريخ ...**، ص ص: 34-35.

[3]- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، **المرجع السابق**، ص 22.

ومواصفات هذه الشخصية الوطنية، كما أنها لا تنطبق على الحركة التي قادها ضد الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري.

2/ " طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر"، "لإسماعيل بن عودة المزاري (الأغا)":

تحدث المؤلف إسماعيل بن عودة المزاري في الجزء الثاني من إحدى صفحات كتابه هذا عن الشيخ بوعمامة وذلك تحت عنوان: "**ثورة الشيخ بوعمامة والحملة على تونس وغزو الطونكان**"، حيث ابتدأ بقوله: " جهّز جيشا للثائر بالصحراء وهو أبو عمامة البوشيخي الدرقاوي تلميذ السيّد محمد بن العربي العلاوي الفلالي، فأجلاه من الأرض وجعل بالصحراء مدونا جليلة بها الحكام"، وبعد القول تكلم عن مقتل ونبرينر عند قبائل الجرامنة وتجهيز قوات فرنسية لإخماد ما أسماه بالفتنة. حيث يقول: "اتفق الأحرار الشراقة والطرافي والأغواط على التخليط والخروج عن الإذعان مع أبي عمامة"[1].

وبالتالي من خلال هاذين الكتابين نلاحظ أن هؤلاء الكتّاب يتعرضون للتاريخ من وجهة النظر الفرنسية، فهم يكتبون للفرنسيين لا للجزائريين، أي هدفهم هو إرضائهم وكسب ودهم.

[1]– الأغا إسماعيل بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م**، ، تح: يحيى بوعزيز، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 265.

الفصل الثالث

مقاومة بوعمامة 1881- 1908

المبحث الأول: أسباب اندلاع المقاومة

المبحث الثاني: التحضير للمقاومة

المبحث الثالث: مراحل المقاومة

المبحث الرابع: عوامل فشل المقاومة ونتائجها

المبحث الأول: أسباب اندلاع مقاومة بوعمامة

لا تختلف أسباب مقاومة الشيخ بوعمامة عن بقية أسباب المقاومات الأخرى، وذلك بسبب الترابط والتقارب فيما بينها وكذلك تمحورها حول هدف واحد هو رفض التواجد الفرنسي وعدم الرضوخ لسياسته الجائرة المطبقة ضد كل القبائل، لذلك فقد اجتمعت عدة عوامل داخلية وخارجية عام 1881 دفعت بالشيخ ورفاقه إلى تفجير هذه الثورة، ومن بين هذه الأسباب نذكر:

الأسباب الداخلية:

1- لا شك أن في مقدمة الأسباب هو تصادم مصالح الشعب الجزائري مع الاحتلال الفرنسي، ومقاومة هذا الدخيل كلما حانت له الفرصة[1].

ففي نهاية الإمبراطورية الثانية عام 1870م وبداية الجمهورية الثالثة، توضحت أكثر مقاصد فرنسا في الانتشار التجاري والعسكري غرب المستعمرة (الجزائر)، وما صاحب ذلك من استهداف سلطة العائلات التقليدية الحاكمة التي تم إبعادها مقابل الاستجابة لطلبات الأوروبيين، كما أن مصالح الأهالي أصبحت بفضل النظام الإداري المدني الاستعماري عام 1876م تحت الرقابة الكلية للأوروبيين[2].

حيث ظهرت مقاومة التوغل الفرنسي الذي وصل حينئذ إلى مشارف المجال الذي كان يسيطر عليه أولاد سيدي الشيخ الغرابة، ذلك أن احتلال الجيش الفرنسي للبيض سنة 1845م وإنشاء مركز مراقبة هناك سنة 1853م، يُفهم منه عزمه على الاستمرار المرحلي في سياسة التوغل، كما أنه مع مطلع سنة 1881م كان الجيش الفرنسي يستعد لإقامة مركز للمراقبة قرب

---

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي...**، ص 274.

[2]- صاري الجيلالي، **ثورة (1881-1883)**، مجلة الأصالة، ع87-88، (ب، د، ن)، الجزائر، 1980، ص 107.

زاوية بوعمامة، ومن هنا نلاحظ عامل المقاومة الجهوية التي عرفتها جميع جهات القطر كلما وصلها الاحتلال الفرنسي المباشر[1].

2- مبالغة سلطات الاحتلال وضباط المكاتب العربية في إثارة الفرقة والشقاق والخصومات بين أفراد الأسرة خاصة بين صفي الشراقة والغرابة[2].

3- سوء نية الحكومة الاستعمارية التي أفشلت كافة المشاريع الإصلاحية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، كإقامة بعض الجسور على الوديان ومد بعض الطرق الضرورية للمواصلات البرية بين الأرياف والقبائل[3]، مثل فشل البعثة الرسمية لدراسة مشروع مد الخط الحديدي عبر الصحراء في الجنوب الغربي لإقليم وهران خلال سنة 1879م، فقد أجبرت البعثة على العودة على أعقابها بعدما تحرش بها سكان قرية تيوت، لذلك عزمت الحكومة الاستعمارية على إقامة مركز عسكري للمراقبة في قصر تيوت، هذا النبأ أحدث قلقا متزايدا لدى بوعمامة والقبائل الصحراوية التي ترفض السيطرة الفرنسية عليها، فأشعلت نار الثورة في وجه المحتل لتدافع عن مجال نفوذ بقيادة أولاد سيدي الشيخ، وخاصة الفرع الأصغر الذي أصرّ بأن يلعب دور الزعامة بقيادة بوعمامة في هذه المرحلة من المقاومة[4]، كما تم فشل بعثة العقيد فلاترس في مد طرق المواصلات في الجنوب والشرق الجزائري، أدى إلى إبادة قبائل الطوارق في الجزائر، فانتهزوا فرصة ثورة الشيخ بوعمامة لانتقامهم الأعمى من السكان[5].

---

[1]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ...، ص 43.

[2]- يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 16.

[3]-Ahmed Akkache , **La Resistance Algérienne de 1845-1945**, SNED, Alger ; 1972, p p 28- 29.

[4]- إبراهيم مياسي، **دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري**، مجلة المصادر، ع1، (ب، د، ن)، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن)، ص 3.

[5]- بشير بلاح، **مرجع سابق**، ص 292.

4- تشير بعض الدراسات الفرنسية إلى أن أسباب المقاومة ترجع بالدرجة الأولى إلى انتشار المجاعة في أوساط الأهالي، وذلك نظرا للنظام الاستعماري وأسلوبه في الجزائر والذي يقتضي أن يحطم ويخذل الإنسان العربي ويحط من قيمته في بلاده، فقد حرمه الاستعمار من جميع وسائل الرزق حتى تسهل عملية إخضاعه للهيمنة الفرنسية، وهكذا تتم السيطرة على البلاد[1].

5- هناك سبب آخر يكتسي صبغة اجتماعية ونابع من واقع التركيب الاجتماعي المحلي، وناتج من الوضع القبلي القائم على التنافس حول الزعامة الحربية والدينية وعليه فإن الظروف مواتية للفرع الأصغر لأولاد سيدي الشيخ للبروز مع الأحداث كفرع قادر على الأخذ بزمام المبادرة، وتولية قيادة المنطقة روحيا وحربيا بعد أن ظل فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة مستأثرا بالقيادة طيلة العهود السابقة، فالزعامة بين فرعي أولاد سيدي الشيخ لا ترجع إلى المغالبة بين الطرفين أو إخضاع أحدهما للآخر، وإنما إلى القدر من المواهب الذي يبديه كل منهما في قيادة مختلف القبائل إلى النصر ضد الفرنسيين، وإلى ما يريه من الممارسات الروحية التي من شأنها أن تترك أثرا في النفوس وتؤدي إلى التصديق بالزعامة الفعلية[2].

6- كما أن هناك أسباب اقتصادية تعود إلى التوغل المفاجئ للاستعمار الفرنسي، داخل إقليم الجنوب الغربي بعدما كان محدودا في الشمال فقط، خاصة بعد بداية الجمهورية الثالثة وإخماد ثورة 1871م، فمنذ ذلك شهدت أراضي الشمال إستطانة سريعة من طرف الأوروبيين تمثلت في إنشاء عدد هام من مراكز الاستطانة والاستيلاء على مساحة واسعة من أخصب الأراضي عنوة من الفلاحين والسكان والزحف نحو صحراء الجنوب الغربي الجزائري، خاصة جيريفيل، مشرية، عين الصفراء[3]، وبذلك استاء وتذمر القبائل الصحراوية خاصة قبائل آفلو والبيض التي منعت

---

[1]- إبراهيم مياسي، **دور ثورة...**، ص 3.

[2]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ص 44.

[3]- صاري الجيلالي، **المرجع السابق**، ص 109.

من التنقل بمواشيها إلى الجنوب خلال موسم الترحال وذلك في فصلي شتاء (1879- 1880) و(1880- 1881م)، مما أدى إلى موت مواشيها بأعداد كبيرة من شدة البرودة السائدة بتلك المنطقة، إذ بلغت نسبة الخسائر التي لحقت مواشي دائرة آفلو وحدها والمقدر بثلاثمائة رأس إلى 80% (37% في 1879- 1880م، و43% لسنة 1880- 1881م) ويرجع السكان هذه الخسائر إلى سوء تصرف الإدارة الاستعمارية التي يجب تخليص البلاد والعباد من شرها، ورأت في تباشير الثورة وفي أخبار الجهاد ضد الفرنسيين أملا في الخلاص من القيود المفروضة عليها[1]. والملاحظ هنا أن الشيخ بوعمامة كان يحس كثيرا بهذه العوامل ويتألم منها، لأنها كانت ذات آثار سيئة على مجموع أفراد الأسرة كلهم وعلى السكان المرتبطين بهم في المنطقة[2].

الأسباب الخارجية:

1- فكرة العالم الإسلامي التي برزت في نهاية القرن التاسع عشر، والذي يؤكد ذلك هو العناية التي أوّلتها لثورة بوعمامة الصحافة العربية وبخاصة المصرية (صحيفة البرهان المصرية)[3].

2- غزو فرنسا للقطر التونسي الشقيق في مطلع عام 1881م بعد أن رغبت في التوسع لقمع المسلمين وتنصيرهم وزيادة ثروات الاستعمار ومعمريه، الأمر الذي جعل بوعمامة والقبائل المساندة له على مهاجمة جيوش الاحتلال الجشعة، خاصة بعد أن خفّ عددها لتوجه أغلبها إلى الإقليم التونسي الشقيق[4]، ففي تقرير مطوّل كتبه العقيد "جيريفيل" (A.Grevy) إلى رئيس المجلس بتاريخ 26 جوان 1881م يقول: " إن أسباب الثورة هي ما يجري من حرب في تونس

---

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي...**، ص 275.

[2]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر...**، ص 292.

[3]- عثمان سعدي، **مرجع سابق**، ص 603.

[4]- بشير بلاح، **مرجع سابق**، ص 306.

ومن توتر في كل العالم العربي، وإنّ ذهاب قواتنا هو الذي أوهم بأن الجنوب الجزائري قد وهن الدفاع عنه، أما الأبعاد التي اتخذتها الانتفاضة فإنني متشبث بموقفي من غير أن أوجه التهمة لأحد فيما يتعلق بالنجاح المحدود الذي أسفرت عنه العمليات الأولى"[1].

3- كان لدعوة جمال الدين الأفغاني وحركة السلطان عبد الحميد العثماني الداعية إلى جمع شمل المسلمين في إطار الخلافة الإسلامية تأثير في تفكير بوعمامة باعتباره رجل دين متحمس وصاحب زاوية ينشد هو الآخر إصلاح المجتمع الجزائري الذي هو جزء من المجتمع الإسلامي الكبير والواسع، وهذا يتطلب مقاومة السيطرة الأوروبية الاستعمارية على البلدان العربية، والزحف الاستعماري الأوروبي على البلدان الإسلامية[2].

4- إضافة إلى الدعوة السنوسية المنتشرة عبر الصحراء، والتي ترمي إلى مقاومة الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية قد وصلت إلى بوعمامة عن طريق مقدمها في عين صالح المهدي ولد باجودة، فكان لهذه الدعوة الدور الهام في تشجيع بوعمامة ورجاله على الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي والتصدي لتوسعاته في المنطقة[3].

5- انتشار أخبار ثورة واحة العامري بالزيبان 1876م، وثورة الأوراس 1879م.

6- أما السبب المباشر للمقاومة فهو إرسال فرنسا قوة بقيادة نائب رئيس المكتب العربي لمنطقة البيض، الملازم "واينبرينر (weinbrenner) لاعتقال الطيب الجرماني أحد أقرباء بوعمامة

1- Charles Rober Ageron, **op.cit**, p 124.

2- العربي منور، **مرجع سابق**، ص 266.

3- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي...**، ص 276.

ومقدميه، فقام المجاهدون بقتله وأربعة من حراسه الصبايحية* يوم 22 أفريل 1881م، فاشتعلت الثورة[1].

المبحث الثاني: التحضير للمقاومة

بعد أن تضافرت تلك الأسباب وغيرها، بدأ الشيخ بوعمامة يعدّ للمقاومة التي كان ينوي إعلانها في الوقت المناسب والذي أجبر على إشعال فتيل الثورة، حتى وإن كان ذلك قبل موسم الحصاد لأن الشيخ كان ينتظر نهاية فترة الحصاد ليحصل الناس على حاجاتهم من الحبوب اللازمة لمعيشتهم ومعيشة مواشيهم خاصة وأن المحصول كان ضئيلا، ولكن الأهالي قد نفذ صبرهم[2]، لذلك بدأ الشيخ يعد للمقاومة وذلك بدعاية واسعة وبزيارات متعددة لعدد من المناطق والقبائل الصحراوية للتبشير بما يعتزم القيام به وإقناع الناس بإتباعه وتأييده، وكان من ضمن من زارهم الرزاينة وأولاد خليفة، وحميان، والطرافي وأولاد التومي، وأولاد أحمد، ولم يكتف بتنقلاته وزياراته فأرسل عددا من المبعوثين لنفس الغرض والهدف مثل: مرزوق السروري إلى قبائل الطرافي، والطيب بن الجرماني إلى قبائل الأحرار الشراقة، والعربي ولد الطيب إلى الرزاينة، والمقدم بلقاسم ولد لزغم إلى أولاد زياد، وقد تمت هذه الزيارات والتنقلات في الشهور الثلاثة الأولى من عام 1881م[3].

قام هؤلاء المبعوثين بدور هام في التحضير للمقاومة أولا وفي نشر أخبارها والاستعلام عن تحركات العدو ثانيا، وقد لمس ذلك الخطر كثير من المسئولين الفرنسيين فراحوا يحذرون منه حيث يقول أحدهم: "إن للمسلمين وسيلتان لمحاربة فرنسا وسيلة السلاح ووسيلة الدعاية الدينية

---

* الصبايحية أو (السبايهية) تركية الأصل وتعني الجنود الفرسان. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة** ...، ص 614.

[1]- بشير بلاح، **مرجع سابق**، ص 306.

[2]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**...، ص 276.

[3]- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر**...، ص 293.

والثانية أخطر من الأولى، فالمفاجآت والاغتيالات وإقامة الكمائن والغارات لا تمثل شيئا مُهما بالمقارنة مع الحرب الخفية التي يقوم بها المبعوثين الذين يذهبون إلى كل الجهات وينتقلون من منطقة إلى أخرى لتحريض المتعصبين"، حيث يذكر أحد الفرنسيين أنه: "منذ سنة 1878 قام مقدمو بوعمامة بأعمال مشتبه فيها لدى القبائل البدوية جنوبي إقليم وهران، يبشرون بالجهاد ويسجلون الإخوان وينظمون جهودهم من أجل حركة عامة"، ويقال أنّ الشيخ كان يكرر في ظروف متعددة أنه لن يطول الوقت حتى يسمع عنه الكثير وأن سلطته ستُعرف من قبل المؤمنين في الجنوب، وأن أيام فرح المسلمين ستعود قريبا[1].

وقد وجدت الدعوة التي حرّكها الشيخ بوعمامة صدى واسع في أوساط قبائل عمور وحميان والشعانبة، فقد استقبل الأحرار الشراقة هذه الزيارات في مكانهم الشتوي الذي زارهم فيه المقدم بلقاسم بن لزغم، أما الطيب الجرماني فكان متواجدا عند الأحرار الغرابة وعندما كانت مقاومة بوعمامة على الأبواب كانت قبائل منطقة تيارت من شاوية وأولاد زيان وأولاد قدور يمسكون سبحة بوعمامة ويترنّمون كل مساء في تجمعاتهم الكبيرة بهذه التعابير:

لا إله إلا الله وبوعمامة وليّ الله

لا إله إلا الله وبوعمامة طير الصحرا

لا إله إلا الله وبوعمامة ضيف الله[2]

أما قبائل العمور فكلّهم موالين له وأن الخيام الكبيرة من بني قيل وأولاد جرير ودوي منيع يقدمون له الزيارة، وقد أوضح الضابط الفرنسي في 18 أفريل 1881 وجود بعض القبائل إلى

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية**، الجزائر، 2010، ص 61.

[2]- نفسه، ص 62.

جانبه مثل أولاد التومي والغياثرة وأولاد أحمد تأهبا لأيّ عمل عدواني قد تقوم به القوات الفرنسية، بل اقترحوا عليه تزعمهم للهجوم على الفرنسيين، ولكنه رفض ذلك طالبا منهم انتظار الساعة لأن ساعة الخلاص قد اقتربت[1].

وقد حذّر العميل الخائن "أحمد ولد القاضي باش أغا" بفرندة السلطات الفرنسية بتحركات بوعمامة منذ 15 أفريل 1881م، حيث قدّم للقائد العسكري للناحية أخبار عن بوعمامة التي جمعها من قبل جواسيسه المنتشرين حول زاويته، ورغم ذلك فإن الحاكم العام للجزائر الجنرال "ألبير قريفي" لم يأمر بإيقاف الشيخ بوعمامة لأنه قد صرّح من قبل بأن عهد الثورات قد ولّى في الجزائر، ولأنه لا يريد التراجع عن أقواله، فقد اطمأنت السلطات الفرنسية من جانب تحركات بوعمامة، ولكنه فاجأهم باندلاع الثورة والتي مرت بمرحلتين أساسيتين[2].

المبحث الثالث: مراحل المقاومة

مرت مقاومة الشيخ بوعمامة بمرحلتين أساسيتين وهي:

- المرحلة العسكرية 1881- 1883.

- المرحلة السياسية 1883- 1908.

1/ المرحلة الأولى: المرحلة العسكرية 1881- 1883:

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص ص: 63- 64.

[2]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي...**، ص 277.

تتميز هذه المرحلة باحتدام المواجهات العسكرية وبتحقيق الثوار لانتصارات كبرى على القوات الفرنسية، وبعد أن التفت حول الشيخ العديد من القبائل الراغبة في مواجهة الاستعمار[1] استطاع في وقت قصير أن يجمع حوالي 2300 جندي بين فرسان ومشاة تتوزعهم القبائل بالشكل التالي:

- قبائل الطرافي 700 بين فارس ومشاة.
- أولاد زياد 180 بين فارس ومشاة.
- الأحرار 160 بين فارس ومشاة.
- أولاد سيدي الشيخ الغرابة 250 بين فارس ومشاة.
- مغرار 100 بين فارس ومشاة.
- أولاد عمور 170 بين فارس ومشاة.
- أولاد سيدي التاج 50 بين فارس ومشاة.
- سكان القصور الجنوبية 500 من المشاة.
- من قبائل أخرى 190 بين فارس ومشاة[2].

فاغتنم الشيخ بوعمامة فرصة غياب الجيش الفرنسي المرابط بالمنطقة الوهرانية للمشاركة في الحملة على القطر التونسي في أفريل 1881م، فأعلن الجهاد المقدس وحثّ بعض القبائل

---

[1]- عبد الله مقلاتي، **في جذور الثورة الجزائرية (مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى فاتح نوفمبر 1954)**، وزارة الثقافة، الجزائر، (ب، س، ن)، ص 191.

[2]- وزارة المجاهدين، **مدخل ...**، ص ص: 45- 46.

على الجهاد والانفصال عن السلطات الفرنسية الاستعمارية والالتحاق بالثورة، ومن هنا وقعت أوّل مواجهة عسكرية بين الشيخ والقوات الفرنسية في 27 أفريل 1881م بالمكان المسمّى سفيسيفة*، أسفرت عن انهزام الجيش الفرنسي المدعّم "بالقوم"** واستشهاد بعض رجال بوعمامة منهم قائد المعاليف وقائد الرزاينة[1].

وأمام خطورة الوضع سارعت السلطات العسكرية الفرنسية بتنظيم صفوفها بقيادة الجنرال سوسييه*** بالتنظيم العسكري التالي:

- ثلاثة فيالق من المشاة، يتكون الأول من الزواف**** والثاني من اللفيف الأجنبي***** والثالث يكوّنه الرماة، وكان الكولونيل "سوينه" Swiney يتولى قيادتها.

- أربع سرايا من الفرقة الرابعة لقناصة إفريقيا****** تحت قيادة العقيد "إينوسنتي" Innocenté.

- فرقة مدفعية.

---

* قرية صغيرة تتربع على 350 منزل تقريبا، تقع جنوب عين الصفراء سكانها هم: المخاولة وبني عقبة. أنظر: Le Marechal, Duc De Dalmatie, **op.cit**, p 250.

** هم الجنود الأهالي المتعاونون مع الفرنسيين.

[1]- إبراهيم مياسي، **الشيخ بوعمامة والجنرال...**، ص 200.

*** هو جنرال فرنسي اسمه الكامل "فيليكس قستاف سوسييه" Félix Gaustave Saussier، ولد سنة 1828م شارك في جميع الحملات التي قامت بها الإمبراطورية الثانية، قاد حملة على تونس في 1881م وواجه الشيخ بوعمامة عام 1881م، وفي سنة 1884م تم تعيينه حاكم باريس، ثم استقال سنة 1886م وبعدها أصبح نائب رئيس مجلس الأعلى للثورة. أنظر: وزارة المجاهدين، **مدخل...**، ص 113.

**** الزوّاف هم الزواوة وهي فرقة عسكرية ألفها الفرنسيون من الأهالي في أوائل الاحتلال. أنظر، أبو القاسم سعد الله، **الحركة ...**، ص 614.

***** فرقة عسكرية مختلطة من جنسيات مختلفة وفي الأغلب كان عناصرها من المجرمين والمغامرين والمرتزقة. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة ...**، ص 614.

****** عبارة عن جيش من الفرسان أنشىء للمطاردة والغارات على الذين سموهم بالمتمردين. أنظر: عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 15.

– فرق متنوعة مساعدة.

– ثلاث فرق من "القوم" قوم سعيدة، وفرندة، وتيارت، وكان يقود الفرقتين الأوليتين "الآغا قدور ولد عدة"، ويقود الثالثة "الآغا الحاج قدور صحراوي".

– ألفان وخمسمائة جمل محمّلة بالمؤن والذخيرة يحرسها ستمائة أهلي، ويخضع هذا التنظيم العسكري لقيادة الجنرال "كولينيون دانسي" Collignon Dancy قائد الشعبة العسكرية لمعسكر، لكنه تخلى عن القيادة العامة للكولونيل إينوسنتي لمرض أصابه بمدينة البيض[1]. أنظر الملحق رقم (03).

فبعد أن تمت الاستعدادات من قبل الطرفين وقعت المعركة الطاحنة والتي تسمى بـ:

ا– **معركة مولاق** *Moulak: وقعت هذه المعركة في 19 ماي 1881م بالمكان المسمّى مولاك الذي يقع قرب قصور الشلالة بجبال القصور أي بين عين تازينة وقصر الشلالة، وهو ميدان فسيح عرضه 3 كلم متكون من تلين متوازيين تقريبا[2]، حيث أقلع طابور الشيخ من الشلالة الظهرانية صبيحة يوم 19 ماي 1881م في اتجاه الشرق، وفي نفس اليوم التقت القوتان: قوة الجيش الفرنسي النظامية المجهزة، وقوة الشيخ المعتمدة على الإيمان بالقضية والبسالة البدوية، فكان اللقاء في أرض شبه مستوية إلى الشمال من "شبْكة مزروع" وإلى الجنوب من عين تازينة وعلى بعد 10 كلم شرقي الشلالة الظهرانية[3]، وفي أثناء السير تلقى العقيد إينوسنتي رسالة من قائد الشلالة يُعلمه فيها أن قوات بوعمامة تتقدم في عمودين، واحد عبر

---

[1]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ... ، ص ص: 12–13.

* تسمى أيضا بمعركة الشلالة أو معركة تازينة، وفي بعض الكتب تسمى بمعركة المويلك.

[2]– وزارة المجاهدين، **مدخل**...، ص 46.

[3]– عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية** ...، ص 68.

المضيق الجبلي والآخر عبر السهل الذي يمتد وراء جبل مويلك من اليسار، وأن الفِرق والخيام قد بعث بهم بوعمامة وهو يُقبل المعركة على ميدان قصر بوسمغون*، لكن إينوسنتي طلب من "الآغا قدور بن عدة" و"الآغا الصحراوي" أن يتعرفا على امتداد السهل نحو اليسار مع نصف قومهما، في الوقت الذي اقتحم فيها الطابور الفرنسي المَعْبَر المؤدي رأسا إلى الشلالة ثم أعطاهما تعليمات صارمة منها أن يكونا على استعداد تام لأخذ مواقعهم حين اندلاع المعركة، وهذا الإجراء عبارة عن تكتيك حربي صرف[1].

نزل العقيد إينوسنتي إلى الأرض على رأس الطابور ليدرس شروط التسديد، لكنه لاحظ أن جيش بوعمامة يحتجب عليهم في وقت الهجوم بفعل تموج الأرض، وهو عائق خطير للتحكم في المعركة مما جعله يبحث عن ذروة (عرف أرضي)، فعثر عليها في الأمام على بعد 150 مترا من الطابور، فاحتلتها كتيبتان من اللفيف الأجنبي ليجعلها كخط للمعركة حين أعطى أوامره إلى العقيد "سويني" Swiney قائد مشاة الزوّاف بأن يتراص الطابور من جديد، ويأخذ كل فريق مكانه الملائم للمعركة[2].

أما بالنسبة لمقدمي الشيخ كان لهم دور كبير في الإقدام والبسالة كمثال يتمثله بقية أفراد المجاهدين، إذ كان في مجملهم يمثلون الروح الديني سواء قادة وحدات أو حاملي اللواء، وأما إذا كان المقدم غير مؤهل كمحارب فإن من السهل عليه أن يجد من بين المجاهدين رؤساء

---

* قرية تتربع على 100 منزل مفتوحة على ثلاثة أبواب: باب القبلي، باب الفرطاس، باب النواسي. أنظر: Le Marechal, Duc De Dalmatie, **op.cit**, p 245.

[1]– إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي**...، ص 284.

[2]– إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ....، ص 285.

عسكريين مؤهلين لقيادة كل مجموعة للحرب، وفي هذه الحالة فإن المقدم يسير تحت إشراف هؤلاء الرؤساء ويعطي المثال في الطاعة في ميدان القتال[1].

وهكذا نشبت المعركة فكانت معركة عنيفة وضارية، التحمت فيها الصفوف واشتد القتال بين الطرفين، فتعالت أصوات الجيش الإسلامي بالتهليل والتكبير، ساهمت في زعزعة مقدمة العدو وتخلخل مركزهم على الميدان، وتسرّب إلى قلوبهم الرعب فاستغل الثوار هذا التفكك فتوغلوا في وسط تنظيماتهم العسكرية ليضربوها في الأعماق بكل قوة، وتحدّوا المدفعية بإقدام وشجاعة كبيرتين، هذا ما شلّ فاعليتها ودبّت الفوضى والذعر في صفوف الجيش الفرنسي فارتد على أعقابه منهزما، وبذلك تمكن الثوار من إفتكاك النصر رغم تفوق العدو عددا وعدة[2].

وقد تضاربت التقارير العسكرية حول نتائج هذه المعركة وخسائر الفريقين، فمنها ما تقول أن الثوار قد تركوا أكثر من 300 قتيل في الميدان، بينما مصادر أخرى تقول أن الخسائر الفرنسية قدّرت بـ 60 قتيلا و22 جريحا مقابل مائتي شهيد، وقد قدّرها العقيد إينوسنتي في تقريره إلى وزير الحربية الفرنسي بـ 37 قتيلا و16 جريحا من بينهم ضابط وأربع مفقودين من الجانب الفرنسي، في حين قدّر عدد ضحايا الشيخ بوعمامة بما يقارب 400 قتيل، أما جريدة المبشر الصادرة بالفرنسية فقد علّقت على هذه المعركة واعتبرتها انتصارا للاحتلال الفرنسي ولكنها كلفتها 37 قتيلا و16 جريحا[3].

ففي هذه المعركة تم القضاء على كل القناصة، كما قُتل الملازم الأول "لانيري" Lannyrei قائد مجموعة قناصة إفريقيا، أما الإبل المحملة بالمؤن فقد تفرقت وابتعدت عن مكان العمليات

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص ص: 68- 69.

[2]- إبراهيم مياسي، **الشيخ بوعمامة والجنرال...**، ص ص: 202 -203.

[3]- إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار...**، ص 95.

ولم تتمكن القوات الفرنسية من استعادة سوى ثلثي عددها، ومما ورد أن طابور إينوسنتي قد هوجم على حين غفلة مما أدى إلى خسائر كبيرة وانسحب بصعوبة وترك كل قافلة التموين للمتمردين، وأن حماس الانتصار أدى إلى انتشار حركة أولاد سيدي الشيخ على نطاق أوسع[1].

إلا أن المصادر الفرنسية نجدها قد أجمعت على أن معركة مولاق هي انتصار للاحتلال الفرنسي رغم خسائرها البشرية والمادية، فقد أخفت عن قصد الحقيقة التي أسفرت عنها هذه المعركة وذلك لأسباب منها:

– إضعاف صدى انتصار بوعمامة والتشكيك فيما كان قد أذيع بين القبائل من أن "بوعمامة قد أباد الجيش الفرنسي" حتى لا تنتشر عدوى الثورة بين الصحراويين.

– التقليل من أهمية مقاومة بوعمامة في نظر السكان الأوروبيين تهدئة لفزعهم وتخفيفا من غضبهم على العسكريين المتهمين بالغفلة وقلة اليقظة.

– رفع معنويات الجيش الفرنسي عن طريق الإشادة بانتصاره في موقعة مولاق والتنويه بكل من الكولونيل إينوسنتي والجنرال "سيريز" Cerez * على لسان وزير الحربية ورئيس الجمهورية، وذلك في "أمر عام" صادر عن الأركان العامة[2]. أنظر الملحق رقم (04).

---

[1]– عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية** ...، ص 70.

* هو الجنرال "جون– باتيست سيريز" Jean–Batiste Cerez، ولد عام1820م، عيّن في مرتبة نقيب عام 1853م وكرّس جهده في خدمة المصالح الأهلية بالقطاع الوهراني أكثر من 10 سنوات وتنقل من بلعباس إلى تيارت ومستغانم، عيّن كقائد على دائرة الأغواط برتبة عقيد في 1869م، ثم رقي إلى رتبة عميد عام 1871م، لهذا عيّن على قيادة الشعبة العسكرية لمعسكر، وأخيرا قائد الفرقة العسكرية بوهران من 1878م إلى 1881م، وبذلك انتهى نشاطه العسكري بالجزائر، ويظهر أنه عزل بسبب هزائمه أمام الشيخ بوعمامة. أنظر: إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص ص: 320 –321.

[2]– عبد الحميد زوزو، **محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)**، دار هومه، الجزائر، 2011، ص ص: 151 –152.

كما كلّفت السلطات الفرنسية قاضي البيض بإصدار فتوى تعتبر الثوار مجرّد خارجين عن القانون، بينما دوّن الشاعر "محمد بلخير"* هذه الوقائع في قصيدة طويلة نورد منها بعض الأبيات:

مقواني نبكي الأجراح مهولين بي فرقة وطني وعز الأوطان

رانا ضروك راس النجوع منتهزين ما قعدوا في الذل لا أصحاب بوران

إلي يبغي الجنة يضاد الكافرين وإلي ابغي الهناء ابغا التمزان

قولوا لعطاء الله واش كلفك يا حزين ولاه تشمت إلي مالداهم قران

فمن خلال هذه القصيدة أوضح الشاعر أن المجاهدين أفضل وأشرف من الذين انضموا إلى الجيش الفرنسي وحاربوا بجانب الضابط بوران في مقاومة 1864م[1].

وقد تلا هذه المعركة الكبيرة مفاجأة قوات الشيخ بوعمامة "للقوم" المرابطين الغرابة، باش آغاليك فرندة، في الخيثر جنوبي البيض وهم تحت قيادة القائد الطيب بن حمو المكلف بضمان مصلحة المراسلات مع طابور العدو، وكان ذلك يوم 25 ماي 1881م فألقى القبض عليهم، ثم الشيخ أطلق سراحهم مما كان له أثر حسن على نفوس القوم وعلى قائدهم الذي أقسم على الوفاء للشيخ[2].

---

* بطل من أبطال الجزائر اشتهر بجهاده وشعره الشعبي في الحوليات الجزائرية طيلة النصف الثاني من القرن 19م، ولد حوالي سنة 1822م في واد المالح مابين مدينتي وهران وعين تموشنت، تم نفيه إلى جزيرة كورسيكا عام 1884م وأفرج عنه في 1888م، رجع أرض الجزائر وبقي يتجول عبر الجنوب الوهراني حتى فارق الحياة سنة 1904 أو 1906م. أنظر: إبراهيم مياسي، **الاحتلال...**، ص 324.

[1]- وزارة المجاهدين، **مدخل ...**، ص ص: 47- 48.

[2] Djilali Sari, **L insurrection de1881-1882**,Société national d'édition et de Diffusion, Alger,1981, p100.

فقد كان للمعركة صدى واسع في الصحافة الفرنسية، إذ كتبت تقول: أن بوعمامة أباد الجيش الفرنسي بالصحراء، وأن بوعمامة يُثوّر أولاد سيدي الشيخ ثانية، وسارعت الإدارة الفرنسية للرد على ذلك، حيث أوحت إلى صحيفة "يقظة معسكر" للتشكيك في هذا الانتصار فكتبت الصحيفة تقول: " إن قواتنا حطمت جموع الثائرين " والدليل على تكبّد الفرنسيين للهزيمة لجوء الإدارة إلى نتيجة إينوسنتي وتعويضه بالجنرال "ديتري" Detrie قصد إنقاذ الموقف[1].

ب- مسيرة بوعمامة نحو التل (الشمال):

نظرا لكثرة خسائر الفرنسيين في "معركة مولاق"، فقد استغل بوعمامة هذا الاضطراب في صفوف الأعداء أين قام بمسيرة كبيرة كانت نصرا له ولأتباعه، حيث لم تتمكن القوات الفرنسية من الإمساك به رغم استنفار أعداد ضخمة منها تحت قيادة أكبر قادتها آنذاك، وقد انطلقت هذه المسيرة من الأبيض سيدي الشيخ في اتجاه الشمال نحو ستيتن جنوب غربي فرندة، شرقي مدينة معسكر لتعود ثانية إلى الجنوب في بوسمغون، وقد استغرقت مدة 23 يوما(من 30 ماي إلى 24 جوان 1881م)[2].

قام الثوار خلال هذه المسيرة على قطع خطوط التلغراف الرابطة بين فرندة والبيض، والهجوم على التجمعات الفرنسية الجزائرية المتحالفة، وقتل عدد من الموظفين الأسبان بهذه التجمعات كما استولوا أيضا على قطعان كثيرة لبعض القبائل الموالية للفرنسيين، وهو ما جعل السلطات الفرنسية تتخذ عددا من الإجراءات لحماية مصالحها، فركزت أربع سرايا عسكرية قوية في النقاط التالية:

- فيلق رأس الماء تحت قيادة العقيد جانين (Janiny)

---

[1]- عبد الله مقلاتي، صالح لميش، **البعد الثوري** ...، ص 128.

[2]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية** ...، ص 73.

- فيلق بخيثر تحت قيادة العقيد زويني (zwiney)

- فيلق تيارت بقيادة العقيد برونتيار (Brunetière)

- فيلق بقيادة العقيد تادييو(Tadieu) في انتظار وصول العقيد نيقرييه[1](Nigrier).

كما حاولت القوات الفرنسية منع قوات الشيخ من الاتصال بالسكان وإجبارها على السير بسرعة حتى تفتقر إلى التموين وخاصة المياه في فترة الصيف الحار والجاف، ولكن القوات الفرنسية انتابها الخوف من قوة الشيخ، إذ مرّ المقاومون في 15 جوان 1881م بجوار طابور "مالاري" في الخيثر وكانوا في متناول بنادقه، لكنه لم يعط الأمر بالهجوم لأسباب غير معروفة مما مكّن الشيخ من البقاء في "عين فكارين" خلال أيام 16 و17 و18 جوان 1881م، أما العقيد مالاري لم ينطلق من الخيثر سوى يوم 19 جوان من نفس السنة لملاحظة الشيخ حيث لم يكن باستطاعته اللحاق به آنذاك[2].

وأثناء مسيرة الشيخ هذه كانت تنضم إليه القبائل منها قبائل "الأغواط الأكسل"* هذه الأخيرة التي تعرضت لهجوم معاكس من طرف الآغا قدور الصحراوي بجبال عمور يوم 14 جوان 1881م، أنتزع منهم ألف جمل و900 بقرة و4500 رأس غنم واعتقل كل سكان دوار أولاد سيدي ناصر الذين يمثلون الأنصار المخلصين لأولاد سيدي الشيخ بالمنطقة وقد قتل 85 شخصا[3].

---

[1]- محمد الشريف ولد الحسين، **من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830- 1962**، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص ص: 24- 25.

[2]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 75.

* أخذ هذا الاسم من المنطقة الجبلية بجبال عمور وهي جبال الأكسل، بشمال غرب مدينة الأغواط وهم بدو رحل من خمسة أقسام وهم: الزريقات، أولاد مومن، قرارجة، أولاد عيسى، أولاد عمران، أنظر: إبراهيم مياسي، **الشيخ بوعمامة والجنرال...**، ص 215.

[3]- يحي بوعزيز، **أضواء على...**، ص 17.

وهكذا لجأت السلطات الفرنسية إلى استعمال جميع الوسائل لتحطيم الثورة كتحريض القبائل والأعراش فيما بينها، ورغم هذه التحركات والاستعدادات فإن الشيخ بوعمامة بقي سيّد الموقف واكتفى الفرنسيون بالدفاع فقط، ويرجع نجاح بوعمامة في نظر "عبد الحميد زوزو" إلى العوامل التالية:

– سرعة تنقله التي حيّرت القادة العسكريين الفرنسيين، والتي نسج حولها العامة قصصا مستوحاة من القوة الغيبية العاملة في نظرهم على نقل بوعمامة بين أماكن متباعدة في أوقات قصيرة.

– معرفته بالمسالك الصحراوية وبطرق السير فيها وعلمه بتحركات العدو وبمضارب القبائل الصحراوية عن طريق عيونه العارفين بطبيعة البلاد.

– اعتماده أسلوب التضليل بإفشائه الإشاعة الكاذبة، وإخفاؤه لرأس قافلته على العدو وبتفريعها إلى فروع يتعذر على العدو معها معرفة مكان القيادة منها[1]. أنظر الملحق رقم (05).

ج– أحداث بقية المرحلة:

بعد نجاح مسيرة الشيخ بوعمامة التي انتهت بتاريخ 21 جوان 1881، والتي لم تكن مثقلة بالغنائم فحسب بل كانت أيضا ضخمة بشريا – وذلك حسب التقارير العسكرية– لأن بعض القبائل فضّل الثورة ومواكبة المسيرة على البقاء تحت سلطة فرنسا، أما جماعة الكولون والقبائل الموالية للسلطة فإن صدى المسيرة قد ترك في أوساطها جوّا من الشعور بالخطر وانعدام الأمن جعلها تفرّ إلى ما وراء الخط الفاصل بين التل والصحراء[2].

[1]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ...، ص ص: 23 –24.

[2]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ...، ص 27.

ولمواجهة انتصارات بوعمامة المتتالية قامت السلطات الفرنسية بتحركات سريعة، تمثلت في إرسال قوات نحو الجنوب الغربي من أجل تطويق الثورة والقضاء عليها فتشكلت هذه القوات في ثلاث فرق وهي:

- القوة الأولى تحت قيادة "لويس" (Louis) من تلمسان.

- القوة الثانية تحت قيادة الجنرال "كولونيون" (Collignon) من معسكر.

- القوة الثالثة تحت قيادة العقيد "نيقرييه" (Nigrier) من البيض[1].

ففي 16 أوت 1881م قام جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال "نيقرييه" بالمدفعية الثقيلة عن بعد بتفجير "قبة ضريح سيدي الشيخ" انتقاما من المقاومين ومحاولة منه القضاء على مثل هذه الحركة، وهكذا يبرهن الفرنسيون الغزاة على حقدهم الصليبي الصهيوني الدفين للإسلام والمسلمين والمقدسات الدينية[2]، كما قام بحرق القصور بما فيها من زرع ونخيل ومنازل وغير ذلك، فبعد هذه العمليات الانتقامية قام "نيقرييه" بالالتحاق بالقوة الأولى والثانية بالمكان الذي أتفق عليه وهو عين الصفراء، وذلك بمهمة مراقبة الخطوط الرابطة ما بين مناطق الأطلس الصحراوي والقصور الجنوبية ومحاولة إخضاعها لنفوذ الاحتلال الفرنسي حتى يتمكن من التوسع وينفذ إلى الصحراء على مراحل، وقد طالب الجنرال "سوسييه" وزير الحربية بباريس في 18 جويلية 1881 المزيد من المدد والدعم حتى يطمئن السكان بقوة الاحتلال الفرنسي

---

[1]- وزارة المجاهدين، **مدخل** ...، ص 51.

[2]- بشير كاشة الفرحي، **مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830- 1962**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2007، ص 86.

فاقترح تدعيم حامية البيض بكتيبة وساريتين تحت قيادة العقيد نيقرييه لمضايقة العدو، والسيطرة على مركز المشرية حيث يتوفر الماء[1].

وخلال شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر 1881م هاجم الثوار كتيبة الجنرال "كولونيو" قرب عين الصفراء وخاضوا معركة "جبل سْمير" فقتلوا وجرحوا عددا من الجنود والضباط الفرنسيين[2]، وفي 22 ديسمبر 1881م دمّرت القوات الفرنسية قصر مغرار الفوقاني ثم اتجهت إلى مغرار التحتاني حيث تم استنطاق سكان البلدة وحجزت أشجار نخيلهم ثم بيعت لغيرهم، كما تم تدمير مسكن الشيخ وزاويته ونخيله وصودرت ممتلكاته وحملت أشياء ثمينة وسيقت حيوانات عديدة، وبذلك أعادت قوات الاحتلال السيناريو نفسه وهو الانتقام من المدنيين بتدمير القرى وقتل الأبرياء والاستيلاء على الممتلكات العينية والحيوانية[3].

ومن التطورات الهامة التي حصلت خلال هذه الفترة هو انضمام "سليمان بن قدور" زعيم فرع الغرابة إلى مقاومة بوعمامة على رأس حوالي 300 فارسا واتجه إلى غرب عين الصفراء، ثم منطقة البكاكرة الحميانيين ومن هناك غادر يوم 16 نوفمبر إلى جبل عمران ليمارس أعمال العنف، فاضطرت القوات الفرنسية أن تلاحقه وتلاحق الثوار معه خلال ما بقي من شهر نوفمبر وديسمبر، حيث ركز الفرنسيون قواتهم في كل من عين الصفراء، عين بن خليل، مشرية، العريشة، رأس الماء، والبيض، وسبدو، خيثر، فرندة، فأقاموا خطا دفاعيا على مناطق التل الوهراني[4].

---

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص ص: 297- 298.

[2]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**...، ص 297.

[3]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية**...، ص 85.

[4]- يحيى بوعزيز، **أضواء على**...، ص 20.

وبفعل هذا الضغط الفرنسي انسحب الشيخ بوعمامة إلى منطقة فقيق داخل المغرب الأقصى بينما استمرت القوات الفرنسية في ملاحقة جيوب الثورة، ومقابلة القبائل التي وقفت في وجه توسعها وآزرت الشيخ في كفاحه، كما لاحقته في فقيق الذي رد عليها بهجوم شرس يوم 16 أفريل 1882م في شط "تيقري" ضد البعثة الطبوغرافية لرسم الخرائط العسكرية والتي كانت محاطة بحامية عسكرية ضخمة، ووقعت ملحمة كبيرة سقط على إثرها العديد من القتلى وتكبّدت القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد[1]. وبالتالي كان لهذه الهزيمة وقع كبير في الأوساط الاستعمارية وخاصة العسكرية منها التي منيت بالفشل الذريع أمام صمود ثورة بوعمامة التي أظهرت تفوقها مرة أخرى على القوات الفرنسية، وبعد ذلك عملت فرنسا على استمالة أولاد سيدي الشيخ إليها وتفاوضت مع "سي قدور بن حمزة" عن طريق "بوحفص لغواطي" وتم الاتفاق بين الطرفين في شهر ماي 1883م، وينص هذا الاتفاق على الأمور التالية:

– أن تقوم السلطات الفرنسية بتجديد بناء ضريح سيدي الشيخ الذي نسفه القائد العسكري "نيقرييه" في أوت 1881م.

– أن تقدم السلطات الفرنسية تعويضا سنويا بمبلغ 60 ألف فرنك لسي قدور بن حمزة وأفراد عائلته في مناصب أخرى تحت إشرافه.

– يقوم سي قدور وأفراد عائلته بإقناع كل أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ الموجودين بالمغرب الأقصى بالعودة إلى الجزائر[2].

وفعلا فقد عاد قدور بن حمزة هو وعدد من أفراد عائلته إلى الأراضي الخاضعة للسلطة الفرنسية خلال سنتي 1883م و1884م، بينما لم يخضع سي سليمان بن قدور لهذا الاتفاق

[1]– سعيد بورنان، **مرجع سابق**، ص 192.

[2]– إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص 301.

والذي قُتل من طرف البرابر في حادث خطط له من قِبَلِهم سنة 1883م[1]، فنجد أن هذا الإجراء كان يهدف إلى تشتيت كلمة أولاد سيدي الشيخ وأخذهم واحدا واحدا، وإلى عزل الشيخ بوعمامة وإفشال ثورته التي وقفت كحاجز صلب يمنع تسرب الاحتلال الفرنسي إلى الجنوب الجزائري[2].

وبالتالي تعتبر هذه المرحلة من المقاومة من أهم مراحلها، فهي بالتأكيد في صالح بوعمامة على الصعيدين الشعبي والعسكري، فعلى الصعيد الأول تمكن بوعمامة من كسب ثقة بعض القبائل وجرّها إلى العصيان والثورة، وعلى الصعيد الثاني من خلال مسيرته التي دوّخ بها القادة العسكريين، حتى أن البعض منهم كان يتجنب مجابهته وتعرض سبيله[3].

2/ المرحلة الثانية: المرحلة السياسية 1883- 1908:

عرفت مقاومة الشيخ بوعمامة خلال هذه المرحلة فتورا ملحوظا بعد أن استقر في مسقط رأسه الحمام الفوقاني بفقيق التي وصلها في جويلية 1883م، حتى يتمكن من تنظيم صفوفه للمستقبل، هذا ما جعل السلطات الفرنسية تتخوف من تحركاته الكثيفة فسارعت في إرسال برقية موقعة من طرف الجنرال "سوسييه" قائد الفيلق التاسع عشر إلى حكومته في باريس يدعوها إلى الضغط على السكان المغربي لطرد الشيخ من الأراضي المغربية لأنه يشكل خطرا على المصالح الفرنسية في المنطقة[4]، وخاصة بعد انطلاق خط السكة الحديدية الرابط بين الشمال والجنوب حيث وصل خط بلدة مشرية سنة 1882م وبذلك سهل نقل المؤن والذخائر والجنود

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 93.

[2]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص 302.

[3]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ...، ص 31.

[4]- وزارة المجاهدين، **مدخل** ...، ص ص: 98 -99.

بسهولة نحو المناطق الجنوبية لاستغلالها وطرد كل من تسوّل له نفسه الاحتلال ثم الإعداد للتوسع في هذه الجهات[1].

ا- إلتجاء بوعمامة لمنطقة دلدول:

في خضم هذه الظروف بحث الشيخ بوعمامة عن ملجأ له بعيدا عن الفرنسيين، فلجأ إلى إقليم توات واحتمى بسكان واحة دلدول* بمقاطعة تينجورارين (قورارة) مع نهاية سنة 1883م، واستقر هناك إلى غاية 1894م، إذ بنى زاويته هناك وعمل على نشر الطريقة الشيخية وتنظيم دروسا دينية ليكسب أنصارا وأتباعا جدد ليواصل بهم الجهاد ويوقف زحف التوسع الاستعماري في الجزائر، كما قام بمراسلة مختلف القبائل الصحراوية من أقصى شرق الصحراء إلى غربها يحثهم على الجهاد، وقام بتحركات سياسية تمثلت في مراسلة الحكام العسكريين الفرنسيين مثل: رسالة بوعمامة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية يوم 26 أفريل 1888م، يحثه فيها على أن يسلك طريق السلم والأمن والصلح بينهما- أنظر الملحق رقم (06)- وفي نفس الوقت راسل "سي قدور بن حمزة" زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة يحذره من مغبة دسائس وتحركات المصالح الفرنسية لزرع الشقاق والعداوة بين المسلمين وداخل القبائل سواء بالمغرب الأقصى أو الجزائر ويحثه على عدم التعامل مع الكفار[2]. أنظر الملحق رقم (07).

وكان الشيخ يتعاون في أعماله هذه مع صوفي آخر ظهر في منطقة تافيلالت اسمه "محمد العربي العلوي المدغري" هذه المنطقة التي حملت هي الأخرى لواء الجهاد ضد الكفار،

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 99.

* منطقة تتكون من عشر قصور يقع مقر بلديتها في قصر أولاد عبو، والمنطقة جزء من دائرة آوغروت ولاية أدرار. أنظر: عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 99.

[2]- إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007، ص 183.

والتي انتقلت إليها بعض القبائل الجزائرية التي رفضت الخضوع للاستعمار الفرنسي كأولاد جرير، وأولاد زياد، ودوي منيع، والعمور، والشعانبة[1]. ولذلك كان لهذا النشاط صدى واسعا لدى القبائل الصحراوية وخاصة قبائل الطوارق الذين اقترحوا عليه الانتقال إليهم ليتعاونوا فيما بينهم للجهاد ومقاومة زحف الاحتلال العسكري لوطنهم، كما أن زاويته أصبحت ملجأ لكل مسافر عابر سبيل ولكل طالب حاجة يأوي إليها فيجد المأكل والمشرب والأمان[2].

وبهذه الأحداث استطاع الشيخ بوعمامة أن يكسب العديد من الأنصار ويحضى بثقة سكان المناطق الصحراوية، ما جعل كل من السلطات الفرنسية والحكومة المغربية تعملان على اكتسابه إلى صفها، فحاولت فرنسا الاتصال به عن طريق المفوضية الفرنسية بطنجة سنة 1892م للتفاوض حول قضية الأمان* ولكن بدون نتيجة[3]، فكان هذا التنافس بين الدولتين عليه يدخلان ضمن سياسة كل من الطرفين تجاه المناطق الصحراوية، فبينما كانت الحكومة الفرنسية تتقرب منه لتجد فيه المساعدة على تنفيذ سياستها التوسعية في الصحراء كان العرش المغربي يريده مدافعا على هذه المنطقة ضد الفرنسيين باسمه، فاختار بوعمامة هذه الأخيرة بصفتها دولة إسلامية، ولكن لم ينتقل الشيخ مباشرة إلى فقيق بل كان تنقله بطيئا إذ استغرق مدة طويلة حوالي أربع سنوات – ظل يراوح فيما بين العرق الغربي الكبير ووادي الساورة – حيث وصل في حدود سبتمبر عام 1896م[4].

---

[1]– عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ص 78.

[2]– عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية ...**، ص 103.

* انشغل بهذه القضية الفرنسيون حكاما وإدارة وصحافة، فقد حصل حولها اختلاف من وجهة النظر بين الطرفين، فكان الشيخ يرى في هذا الموضوع التفاوض من أجل الصلح والسلم والأمن للجميع والاحترام المتبادل داخل مناطق الطرفين، في حين كان قصد السلطات الفرنسية من وراء منح الأمان هو إعطاء بوعمامة فرصة الاستسلام بدون قيد أو شرط. أنظر: عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881– 1908 (جانبها السياسي 1883– 1909)** ، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 10.

[3]– إبراهيم مياسي، **من قضايا...**، ص 186.

[4]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ج2، ص ص: 19 –20.

وخلال هذه العودة تدعمت قوات الشيخ بانضمام عدد من القبائل إلى حركته والتي كانت مستعدة للوقوف معه إلى أبعد الحدود، بحيث أصبحت له قوة بشرية وحربية ونفوذ روحي يشابه الوضع الذي كان سائدا سنة 1881م[1]، فهذا الوضع أقلق السلطات الفرنسية خاصة بعد الاعتراف بالشيخ زعيما لقبائل أولاد سيدي الشيخ ومشرفا على كل المناطق الصحراوية مما دفعها مرة أخرى إلى محاولة كسب ودّه، لذلك قرر الوالي العام "لافريار" في 16 أكتوبر 1899م منحه الأمان التام دون قيد أو شرط، لكن الشيخ لم يُلبّ الدعوة ولم يرفض أيضا بل نجده يستعمل الحيطة واليقظة، فهو يشكر صنيع الحاكم العام ويعتذر له عن عدم تلبية قصده في الوقت الحاضر وأن ذلك سيكون في الوقت المناسب[2].

من هنا بدأت السلطات الفرنسية تضغط على السلطات المغربية لطرد بوعمامة أو تسليمه لها، وقد تجسد هذا الضغط في شكل اتفاقيات بين المغرب وفرنسا والسلطات بالجزائر منها الاتفاقية المنعقدة في 20 جويلية 1901م بباريس بين كل من "عبد الكريم بن سليمان" وزير خارجية مولاي عبد العزيز و"ديلكاسيه" وزير خارجية فرنسا، إضافة إلى اتفاقية أخرى في 7 ماي 1902م والتي صادق عليها من الجانب المغربي "الجباص" وزير الدفاع المغربي أما الجانب الفرنسي ممثلا من طرف ممثل عن السلطات الفرنسية بالجزائر، وقد تركزت هذه المفاوضات حول مسألة الأمن وتثبيت الحدود والتعاون الاقتصادي بين المغرب وفرنسا، فبموجب هذه الاتفاقيات غيّر سلطان المغرب موقفه المساند لبوعمامة، وبدأ يكتب له يدعوه لمغادرة فقيق وراسل سكان البلدة يطلب منهم عدم التعاون معه، وهكذا منحت هذه الاتفاقيات لفرنسا ورقة رابحة في مجال السياسة الدولية والتنافس على المغرب[3].

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 127.

[2]- عبد المجيد بن نعيمة، **مرجع سابق**، ص 100.

[3]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص ص: 136- 137.

ب/ تحالف الشيخ بوعمامة مع الروقي (بوحمارة):

بعد أن خيّب السلطان المغربي آمال بوعمامة الذي كان يتوقع دعم وتأييد من المغرب عندما انسحب إلى هناك، إلا أن نشاطه لم يتوقف بالرغم من ضعفه وتدهوره، حيث اشتبك في عدة معارك ضد جيش الاحتلال الفرنسي وفِرق جيش المخزن المغربي[1]، وفي خريف سنة 1902م تلقى الشيخ رسالة من الجيلالي الزرهوني المعروف بـ "بوحمارة" أو "الروقي "*، يعرض فيها عليه الانضمام في سلكه وتأييد دعوته لإنقاذ المغرب من أيدي الخونة والمفسدين، وقد قبل الشيخ التحالف مع الروقي ابتداء من سنة 1903م وهو يظنه مولاي امحمد صاحب العرش الحقيقي[2]، فانضم إليه هو وابنه "سي الطيب" واتفقا على تنسيق العمل ضد قوات السلطان وقوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وكان "عبد المالك" بن الأمير عبد القادر قد سمع بمقاومة بوعمامة فالتحق بهم وحارب معهم الفرنسيين. هذا وقد عملت قوات بوعمامة بالتوجه إلى"عين بني خليل" لمهاجمة القوات الفرنسية في نوفمبر 1903م، حيث تعرضت لها قوات المخزن المغربي فخاضت ضدها معركة ضارية وانتصر فيها بوعمامة وأرغمت قوات المخزن على الانسحاب والتقهقر[3]، ونظرا لاشتداد هجمات بوعمامة وأتباعه وانتشار حركة الروقي طلب حاكم وجدة المغربي من القوات الفرنسية أن تحتل "رأس العين" التي كانت بمثابة معسكر للثوار، فلبت القوات الفرنسية ذلك ونسقت معه العمل، فاضطر الثوار الانسحاب إلى "سهل أنقاد" وضواحي "برقنت" وخلال شهر جوان 1904م أرسل حاكم وجدة المغربي "أحمد ركينة" رسالة إلى حاكم

---

[1]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر...**، ص 301.

* ينتمي إلى أولاد يوسف بجبال زرهون، أعلن الثورة ضد مولاي عبد العزيز عام 1902م، وكثيرا ما يلقب "بالروقي" استهزاء، لأن معظم الثائرين ضد سلاطين المغرب كانوا من قبائل الرواقة، فصار لقب الروقي يطلق على كل ثائر ضد العرش. أنظر: عبد الوهاب بن منصور، **مرجع سابق**، ص 82.

[2]- عبد القادر خليفي، **استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع15، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 227.

[3]- يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر** ...، ص 302.

عين الصفراء الفرنسي طلب منه المساعدة للتخلص من بوعمامة ورجاله والقضاء على حركتهم[1].

أما الروقي فقد استطاع بسط سيطرته على عمالة وجدة فيما بين سنتي 1903 –1905م، فسارعت فرنسا إلى تقديم التسهيلات لسلطات المخزن قصد الإشراف على سير العمليات الموجهة ضد الروقي وأنصاره[2]، وقد خاض بوعمامة معه معارك منذ بداية التحالف إلى سنة 1907م أشهرها معركة "سْماسير" في جانفي 1904م بقرب وجدة والتي أستشهد فيها شقيق بوعمامة "محمد بلحاج"، إضافة إلى معركة التاسع من أفريل من سنة 1905م التي كان فيها جيشه بالجناح الأيمن في الهجوم على وجدة، وكانت المعركة الشهيرة في جويلية 1905م التي تكبّد فيها رجال المخزن خسائر كبيرة بالرغم من استعمالهم للمدافع أثناء تلك المعركة، وإلى جانب هذه المعارك كانت هناك هجمات لوحدات بوعمامة ضد الموالين سواء للمخزن أو للفرنسيين، كهجوم الشعانبة في 20 ماي 1905م على عناصر من قبيلة المهاية واستولوا على مواشيهم بسبب التجائهم إلى دائرة العريشة تحت النفوذ الفرنسي، وفي 27 ماي من نفس السنة استولت بعض القبائل الموالية للمخزن على قافلة محمّلة بمختلف المواد الغذائية متجهة نحو معسكر الشيخ بوعمامة[3].

وهكذا استمرت سلطات المخزن في تتبعها لتحركات الشيخ وقد قسّمت جيوشها إلى عدة فرق لمراقبته بهدف إرغامه على الخضوع لهم كشرط للإفراج عن ولده "سي الطيب" بعد أن ألقت عليه القبض في جويلية 1905م، بحجة أنها مسكت مراسلة مشبوهة منه إلى والده فأرسلته إلى حبس الدكاكين في فاس لمساومة والده، إلا أن هذا الأخير لم يزدد إلا إصرارا على

---

[1]– يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر** ...، ص 303.

[2]– عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية**...، ص 158.

[3]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة** ...، ج2، ص ص: 36– 37.

عناده ومساندته للروقي، وفي سبتمبر 1905م نقل الشيخ زاويته وزمالته إلى أرض قبيلة "بني بوزقو" بعد أن تقوت قوات المخزن[1].

ج/ نهاية الشيخ بوعمامة:

أصبحت قضية "سي الطيب" موضوعا للمفاوضات بين السلطتين الفرنسية والمغربية ووسيلة ضغط جديدة على والده بوعمامة، وطبيعيا أن يفوز الفرنسيون بالقضية بالنظر إلى الضعف الذي آل إليه القصر، وقد وضعت سي الطيب تحت الإقامة الجبرية بالأغواط، أما بالنسبة للشيخ بوعمامة فقد بقي على استقلاليته أمام الإغراءات الفرنسية والمغربية، ويتلخص موقفه هذا فيما قاله لابن عمه "أحمد بن المنور" بأنه: " لن يستسلم ما بقي حيّا لا للفرنسيين ولا للسلطان مولاي عبد العزيز، وبأنه على أتم الاستعداد إذا اضطرته الظروف لأن يلتجئ إلى الجنوب من جديد بحثا عن الاستقلال والحرية"، لكن ظروفه الصحية كانت في تدهور سريع بالإضافة إلى سنّه المتقدمة التي أعجزته عن العمل الحربي وحتى عن التنقل حيث يرغب، وهذا أجبره عن العمل بالأسلوب السياسي من جديد خاصة وأن الظروف الداخلية بالزاوية والظروف الخارجية المحيطة كانت تتطلب ذلك[2].

أما علاقته بالروقي فقد انتابها فتور في بداية سنة 1907م وذلك حسب ما لاحظه السياسيون من مغاربة وأجانب[3]، وفي نفس السنة أرسلت السلطات الفرنسية إلى الشيخ بعثة تقترح عليه العفو التام والتفاوض حول المسائل المشتركة، فقد استقبل بوعمامة هذا الوفد أحسن استقبال ولكنه أعاده بدون جواب، وفي هذه الأثناء احتل الفرنسيون مدينة وجدة في 29 مارس

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص ص: 159- 160.

[2]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ج2، ص ص: 39- 40.

[3]- عبد الوهاب بن منصور، **مرجع سابق**، ص 88.

1907م بقيادة الجنرال "ليوتي" (Lyautey) قائد ملحقة عين الصفراء، ثم تقدموا بعد ذلك لاحتلال "جبال بني يزناسن" و"سهول أنكاد"[1].

وفي أواخر شهر جويلية 1907 أطلق سراح "سي الطيب" الذي التحق بوالده في المغرب والموجود آنذاك بعيون سيدي ملوك بنواحي وجدة، وكان الشيخ قد أصبح مسنا مريضا، ويختلف الرواة في نوع مرضه، وفي السابع من شهر أكتوبر سنة 1908م توفي الشيخ بوعمامة في "واد بورديم" ونقل جثمانه إلى بلدة عيون سيدي ملوك التي دفن فيها وكانت له قبة ضخمة تزار إلى اليوم في وسط مقبرة كبيرة، أنظر الملحق رقم (08). وقد أوصى الشيخ بوعمامة أتباعه بإتباع ابنه سي الطيب كخليفة له في المشيخة، هذا الذي كان عليه ضمان سلامة أتباع والده، فغيّر الأسلوب الثوري الحربي الذي اتبعه والده، وانتقل إلى أسلوب مهادنة السلطة الفرنسية التي احتلت عيون سيدي ملوك سنة 1910م أي بعد سنتين من وفاة الشيخ بوعمامة[2].

المبحث الرابع: عوامل فشل المقاومة ونتائجها

1/ عوامل فشل المقاومة:

بعد وفاة الشيخ بوعمامة في السابع من أكتوبر عام 1908م عن عمر يناهز السبعين عاما والتي قضى منها أكثر من عشرين عاما(1881-1908م) في الجهاد والمقاومة ضد فرنسا أعتى قوة استعمارية في العالم آنذاك، وبذلك استغرقت الثورة بقيادته أطول مدة في تاريخ ثورات الجزائر، ومع كل ما أبداه أثناء كل هذا العهد الطويل من شجاعة وثبات، فإن الفرنسيين تمكنوا من هزيمته وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص 168.

[2]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية...**، ص ص: 170- 171.

– سيطرتهم على المناطق الآهلة بالسكان في الشمال وبذلك منعوا بوعمامة من التسلل إليها، بل استطاعوا منع تسرب أخبار ثورته إلى المواطنين هناك[1].

– تفوق العدو من ناحية العدد والعتاد الحربي، فقد استعمل المستعمر الفرنسي في أغلبية المعارك مدفعية الميدان، بينما الشيخ بوعمامة ورجاله يحاربون بسلاحين الأول بما يعرف من سيوف وبنادق من الأسلحة المعروفة في ذلك الوقت، والسلاح الثاني هو الإيمان بالله والوطن[2].

– حصر السلطة الفرنسية للثورة داخل نطاق الصحراء وعزل القبائل الصحراوية نفسها بالضغط عليها ونهب أموالها، منها التوقيع بين القبائل بقصد تفريق كلمتها والعمل أيضا على كسب بعضها بالمال والجاه[3].

– كما أن بوعمامة اعتاد أن يلجأ داخل الحدود المغربية عند اشتداد مطاردة الفرنسيين له من الشرق، لم يعد في إمكانه ذلك نظرا لازدياد النفوذ الفرنسي في المغرب.

– أما العامل القوي الذي أضعف الثورة فيتمثل في الشقاق الذي أحدثته السلطة بين قبائل أولاد سيدي الشيخ نفسها، وكذلك الخط الحديدي المزمع إيصاله إلى كولون بشار عاملا من عوامل عزل الثورة نحو أقصى الجنوب الغربي[4].

2/ نتائج المقاومة:

ترتبت عن هذه المقاومة عدة نتائج يمكن إثبات بعضها في النقاط التالية:

---

[1]– سعيد بورنان، **مرجع سابق**، ص ص: 194– 195.

[2]– إبراهيم العسكري، **لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية**، دار البعث، الجزائر، 1992، ص 31.

[3]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ج2، ص 31.

[4]– عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ج2، ص 32.

1- قامت السلطات الفرنسية بمعاقبة القبائل التي شاركت في الثورة وذلك بتكليف المهمة للعقيد "نيقرييه" الذي تصرف بمحض إرادته فكانت تصرفاته حمقى، حيث كانت قوته قد اقترفت أعمالا إجرامية بشعة ضد السكان العزل خاصة أهالي الطرافي، وهاجم سكان الشلالة الظهرانية وطالب من قائدهم تسليم كل الذين شاركوا في معركة مولاق للانتقام منهم ومصادرة أسلحتهم من بنادق ومسدسات وسيوف، فقد قام بأعمال شنيعة يندى لها جبين الإنسانية حيث وصل به البغض و الاستهتار والعجرفة إلى تفجير قبة سيدي الشيخ كلية ونبش قبره الذي مرّ عليه حوالي قرنان ونصف[1]، وكان الهدف من وراء ذلك تشتيت وحدة الأهالي الملتفين حول الزاوية التي تمثل النواة الدينية والسياسية لهم، وكذلك الانتقام من ثورة بوعمامة ومناصريه وتخويف الأهالي من مغبة التمرد والانفصال عن السلطة الاستعمارية والالتحاق بالثورة، وبعد تدمير الزاوية قام نيقرييه بحرق القصور بما فيها من زرع ونخيل ومنازل ودواب وغير ذلك[2].

2- فرضت القوات الفرنسية على القبائل المستقرة في الأراضي التي كانت تسيطر عليها وسائل التموين والنقل فيما يدعى "بالسُّخرة"، أي كان على كل قبيلة أن توفر حاجات القوات الفرنسية من الحيوانات الصالحة للنقل بتجهيزاتها المختلفة وبحراسها وأتباعها من تلك القبيلة، وبهذا جندت القوات الفرنسية عددا كبيرا من وسائل هذه القبائل من بغال وخيل وإبل لنقل مئونتها ومن رجال يرافقون قواتها المحاربة، واستغلت هؤلاء الجزائريين السائرين معها عن رضى أو إكراه لمعرفتهم بالأرض والسكان، كما استعملت فرق "القوم" كمحاربين في الصفوف الأولى، وبذلك وقع الاقتصاد في الوسائل ماديا وبشريا وأصبحت مواجهة المقاومة بوسائل جزائرية أكثر مما هي بوسائل فرنسية في أغلب الأحوال[3].

---

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص ص: 296- 297.

[2]- إبراهيم مياسي، **من قضايا** ...، ص ص: 176- 177.

[3]–Djilali Sari, **op.cit**, p 81.

3- رغم ذلك فإننا نجد أن السلطات العسكرية لم تكن تهتم بأحوال هؤلاء المرافقين ووسائلهم مثلما تهتم بجنودها وفرقها العسكرية، فأحوال هؤلاء المرافقين الجزائريين كانت جد مأساوية، فكانوا كثيرا ما يضطرون إلى سد رمقهم عن طريق الحيوانات الجيفة التي كانت تعترض سبيلهم، أما بالنسبة للقبائل التي كانت تقف على الحياد وترفض المساهمة في تقديم مثل هذه الوسائل فإنها تتعرض للغزو والغرامة الباهظة ويضعها الفرنسيون ضمن القبائل المعادية[1].

4- كشفت مقاومة الشيخ بوعمامة عن ضعف الفرنسيين في مواجهة المقاومة، وهو ما دفعهم إلى البحث عن حلول سياسية من أجل وضع حد للثورة خاصة بعد سنة 1883 إلى 1892م حين طرحت مسألة الأمان التي كانت السلطات الفرنسية تطالب بها بوعمامة الذي ظل يرفضها من خلال المراسلات والمحادثات التي حرّكتها فرنسا[2].

5- قامت قوة لويس بتحطيم قصري بوعمامة فقد أحرقهما كلية ودمر زاويته وقتل الكثير من أهالي القصرين، كما حطمت قوات العقيد نيقرييه كل المخيمات وأتلفت كل الذخائر والمؤن ونهبت كل القطعان، وقامت الفرق العسكرية الفرنسية تحت قيادة الجنرال "دليباك" بالهجوم على السكان العزل في منطقة عمور، فقتلت العديد منهم وأحرقت خيامهم وأتلفت ذخائرهم ونهبت مواشيهم أيضا، ثم أرغمتهم على النزول من هذه المناطق الحصينة لتبقى تحت مراقبة لواء الجنرال "كولونيو"، بحجة أنها قد طلبت الأمان والخضوع للسلطات الفرنسية[3].

6- أما عن الخسائر المادية التي استقرت عنها المقاومة فتتمثل بوضوح في الأضرار التي لحقت الشركة الفرنسية الجزائرية التي كانت أداة دعم للاستعمار ووسيلة مساعدة على القمع

---

[1]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية** ...، ص 95.

[2]- محمد الشريف ولد الحسين، **مرجع سابق**، ص 26.

[3]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص 299.

والإخضاع، والتي تولت استغلال الحلفاء بالهضاب العليا في مقابل مدّها خطا حديديا طوله 241 كلم يمتد من أرزيو إلى الهضاب العليا مرورا بسعيدة، وكانت الخسائر التي لحقتها بفعل حرق كميات الحلفاء وتدمير المخازن وتشتيت المعدات ووسائل النقل ضخمة، فضلا عن الخسائر غير المباشرة من جراء توقفها المؤقت عن العمل وعدم الوفاء بتعهداتها إزاء زبائنها، كما تشمل الخسائر كذلك في الأضرار التي أصابت اليد العاملة الإسبانية الموسمية، التي كانت تستقدم مباشرة من إسبانيا بالقضاء على جزء منها وتشتيت الجزء الأكبر، والتي كانت تكوّن بعددها الضخم منافسا خطيرا لليد العاملة الأهلية المحرومة في المنطقة وتشكل حليفا طبيعيا لفئة المعمرين الإسبان والفرنسيين على حد سواء[1].

7- كما قامت السلطات الفرنسية بمعاقبة كل من ثبت لديها تعاونه مع الشيخ بوعمامة من قريب أو بعيد، وهكذا فقد نفت قبائل العمور من منطقة عين الصفراء الحدودية إلى منطقة آفلو وفرضت الإقامة الجبرية على أولاد سيد ناصر بولاية تيارت، فنفت كثير من الأفراد المتعاونين مع الشيخ، ومناطق النفي تمثلت في "بوشبكة" و"البرواقية" بالجزائر و "سان مارغريت" بفرنسا، ونقلت بعض أعيان القبائل إلى جزيرة كاليدونيا، كما نفت أشخاصا آخرين من قبائل حميان إلى منطقة خنشلة هم "مقدمون وفقهاء"، ونفت كل من قائد "أولاد سيد الحاج بن عامر" إلى جزيرة سان مارغريت والقائد "الهادف" من سفيسيفة بمنطقة عين الصفراء إلى آفلو بعد أن وشي بهم أعوان الفرنسيين بتهمة التعاون مع الشيخ بوعمامة[2].

8- عجّلت المقاومة باستكمال مشاريع السكة الحديدية في المنطقة وربط الشمال الغربي الجزائري بجنوبه، لأنها وسيلة سريعة للسفر والمبادلات كما أنها تساعد قوات الاحتلال بالتحرك

---

[1]- عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة ...**، ج1، ص ص: 34- 35.

[2]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية ...**، ص ص: 182- 183.

في التدخلات نحو الجنوب ونجدة وتدعيم الحاميات المزروعة هنا وهناك[1]، فلم تتخلى فرنسا عن أسلوبها العسكري العنيف في التوسع حيث أنشأت سنة 1891م مركزا عسكريا دائما بالمنيعة استعدادا للسطو على عين صالح وواحات توات[2].

9- فرضت السلطات الفرنسية غرامات على القبائل المتعاونة مع الشيخ بوعمامة، والتي كانت تقدّر أحيانا بقيمة ربع المحصول الزراعي أو من الماشية بالإضافة إلى الضريبة العادية انتقاما منهم لخروجهم عن طاعة فرنسا سنة 1881م، لذلك اضطرت بعض القبائل المتعاطفة مع المقاومة إلى الهجرة إلى حيث يتواجد الشيخ في الجنوب أو في المغرب الأقصى، ونتيجة لذلك خلت بعض المناطق من سكانها في الجنوب الغربي وشعرت السلطات الفرنسية بذلك، فحاولت أن تستقدم أناسا من الشمال ثم تراجعت عن ذلك وعفت عن بعض قبائل العمور، وذلك لحاجتها إلى الأهالي سواء للعمل عن طريق السخرة أو لمدها بالمئونة أو بغرض التجنيد في الفرق الخاصة بالأهالي لمساعدتها على تنفيذ خططها في الاحتلال[3].

---

[1]- محمد الشريف ولد الحسين، **مرجع سابق**، ص 26.

[2]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي** ...، ص 307.

[3]- عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية**...، ص ص: 183- 184.

الخاتمة

من خلال دراستنا لمقاومة الشيخ بوعمامة (1881- 1908) نستخلص أنها كانت إحدى أهم المقاومات الشعبية الكبرى خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كما تبرز لنا هذه الدراسة دور منطقة الجنوب الغربي في المقاومة الشعبية بحيث أنها لم تكن انتفاضات عشوائية، بل كانت بهدف الدفاع عن الوطن ورفض للوجود الاستعماري، مما جعله يدحر دعاية فرنسا بأنها قضت على المقاومات الشعبية وبأن الجزائر تعيش فترة هدوء نسبي.

وهكذا تصدى أهالي منطقة الجنوب الغربي الجزائري للاحتلال الفرنسي وأعوانه منذ أن وطأت أقدامهم المنطقة، بحيث التفوا حول قيادات المقاومات التي عبّرت عن رفضها المطلق للاحتلال الفرنسي وإلى كل شيء يرمز لهم، وعملوا على الدفاع عن الدين والوطن بالرغم من عدم توفر الإمكانيات المادية والعسكرية وبالرغم من قلة عدتهم وعتادهم أمام جيوش فرنسا المدربة والمجهزة، بحيث أن كل هذا لم يثبط من عزيمتهم وأداء واجبهم نحو الأرض والوطن، ومن كل هذا يمكن استخلاص النتائج التالية:

- ✓ الموقع الإستراتيجي الذي تميزت به منطقة الجنوب الغربي الجزائري بعد أن أدركت السلطات الفرنسية أنها من أهم المناطق لاستعمارها، كونها يجعلها تتحكم في الجزائر وتقضي على المقاومات الشعبية، ويمكّنها من السيطرة على المغرب الأقصى وغرب إفريقيا بهدف ربط هذه المستعمرات ببعضها البعض، إضافة إلى ما تزخر به المنطقة من خيرات زراعية ومعدنية من شأنها أن تخدم الاقتصاد الفرنسي.
- ✓ أن مقاومة الشيخ بوعمامة تعتبر آخر المقاومات المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، وهي بذلك لا تختلف عن سابقاتها من الانتفاضات الشعبية من حيث الظهور والأوضاع والدوافع، والمفارقة الوحيدة التي تميزها عن باقي المقاومات أنها جاءت متأخرة بعض الشيء في وقت تمكنت فيه فرنسا من التمركز والتثبت جيدا في الجزائر ودعم وجودها عسكريا واقتصاديا وحتى بشريا، وازدياد معرفتها واطلاعها

على أوضاع البلاد وظروفها، وكذا حالة السكان وما يعانون من ظروف صعبة ومشاكل.

- ✓ تعتبر مقاومة الشيخ بوعمامة من أعنف المقاومات التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر – بعد مقاومة الأمير عبد القادر– وأطولها من 1881م إلى 1908م وبها ختمت مرحلة المقاومة الشعبية في تاريخ الجزائر الجهادي، فأوقفت دور البندقية ليحل محلها أسلوب البعث الحضاري والوعي الفكري ضمن النضال السياسي في الحركة الوطنية الجزائرية.
- ✓ الصراع القائم بين عائلة أولاد سيدي الشيخ حول الزعامة وهو ما استغلته فرنسا واتبعت معهما سياسة فرق تسد، بحيث كان الفرنسيون معتمدين على انقسام الأسرة إلى شراقة وغرابة أكثر من اعتمادهم على ولاء الزعماء، وذلك بهدف تدعيم وجودها بالمنطقة ومحاولة إفشال المقاومات الشعبية.
- ✓ المصالحة التاريخية التي تمت بين السلطة الفرنسية وفرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة الذين تمتعوا بفضلها بمراكز راقية وألقاب شرفية من طرف فرنسا، وهو ما ساعد على استمالة أغلب أتباعه وسهل لفرنسا مهمة تمزيق المقاومة، مع عدم تجاهل الدور الأساسي لبعض القواد والعملاء لفرنسا كالقايد "قدور بن الصحراوي" قايد الأحرار ، و"أحمد ولد القاضي" آغا فرندة والجاسوس "عبد الرحمن بن الشيطيوني"، إضافة إلى تواطؤ سلطان المغرب مع السلطات الفرنسية لتضييق الخناق عليه وإجهاض المقاومة على طول الحدود المغربية الجزائرية، وذلك بعقد جملة من الاتفاقيات فيما بينهم.
- ✓ امتازت شخصية بوعمامة في هذه المرحلة بالشجاعة والإقدام والتحدي في مواجهة القوات الفرنسية، حيث تفتقت مواهبه الحربية وقدراته القتالية كالتفطن لمكائد الأعداء وتفهم العمليات العسكرية، مما جعله ينتصر على أشهر جنرالات فرنسا والمتخرجين من أكبر المدارس العسكرية فضلا عن خبراتهم الميدانية وتجاربهم الحربية، فقد هزمهم جميعا ولم يتمكنوا من القبض عليه أبدا.

- ✓ انطلقت المقاومة من الزاوية باعتبار الشيخ بوعمامة زعيما دينيا وقطبا ربانيا اشتهر بالورع والتقى وحب بلاده وشعبه، فكانت حركته دينية سياسية وجهادية شعارها مقاومة الاحتلال تحت لواء الجهاد المقدس ورفع راية الإسلام عالية، والعمل على جمع كلمة المسلمين كصف واحد لدحض الاستعمار والاستعباد، فقد أظهرت مقاومة بوعمامة تحديا كبيرا لسياسة الجمهورية الثالثة والتي كانت تهدف إلى إتمام عمليات الاحتلال الشامل والكامل للبلاد وجعل الجزائر ولاسيما جنوبه همزة وصل للتوسع.
- ✓ فمهما كانت مقاومة الشيخ بوعمامة لها نقاط تشابه واختلاف مع المقاومات السابقة، وسلبيات وإيجابيات فإنها كانت واحدة من الصيحات المدوية للشعب الجزائري الذي رفض دائما ومنذ عام 1830م الوجود الاستعماري الفرنسي فوق أرضه مهما كانت صفته، ورغم أن الجميع يقر بكونها آخر مقاومة إلا أنها كانت آخر تجربة للمقاومة الإقليمية أي أنها لم تكن شاملة، حيث تلتها فترة نقاهة طويلة المدى أعيد فيها ضبط الحسابات، والاستفادة من التجارب السابقة تجنبا للوقوع في نفس الهفوات، وبالفعل فقد نجح الشعب الجزائري في استيعاب الدرس بأن عمم الثورة ونسقها ونظمها وحسب لها ألف حساب، فكانت بذلك ثورة أول نوفمبر 1954م التي وضعت نهاية قاضية لآخر قيود الاستعمار والاستعباد الذي دام قرن وربع قرن، كما أنهت بذلك أيضا أسطورة الاستعمار الذي لا يقهر، فلو أن جل المقاومات التي مرت في تاريخ الجزائر كانت قد وحدت قواها منذ البداية لما أمكن لفرنسا البقاء كل تلك المدة في الأرض الجزائرية، وهذه النقطة هي من أهم عوامل ضعف المقاومات الشعبية، كونها إقليمية غير شاملة لكل القطر الجزائري وإنما تمركزت في منطقة خاصة بالقبيلة أو القائد الذي يتزعم هذه المقاومة.

ولكن هذا لا ينقص من أهمية أي مقاومة جزائرية، يكفي فخرا أنها تحدت أقوى وأكبر دولة استعمارية آنذاك.

وفي الأخير يمكننا القول أن مقاومة الشيخ بوعمامة صحيح أنها لم تحقق أهدافها إلا أننا نجدها قد كتبت صفحة خالدة في تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية ويمكن أن نقول أنها وضعت اللبنات الأولى في تشييد حرية البلاد والعباد.

الملاحق

ملحق رقم 01

سلسلة النسب الخاصة بأولاد سيدي التاج بتاريخ سنة 1905[1]

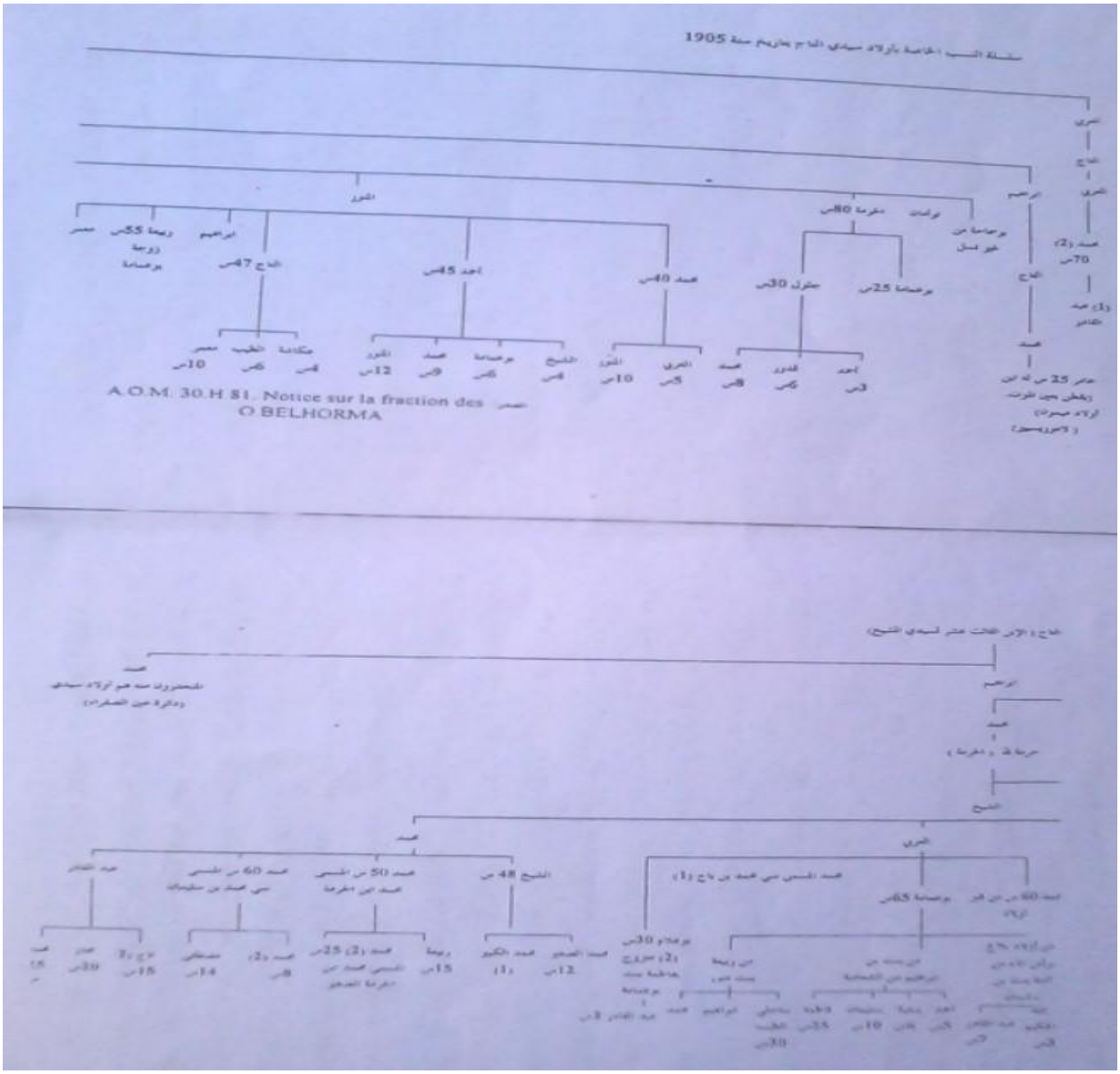

[1] عبد الحميد زوزو: محطات ...، مرجع سابق، ص ص 168.

ملحق رقم 02:

صورة كاريكاتورية للشيخ بوعمامة[1]

صورة كاريكاتورية للشيخ بوعمامة -بريشة صحفي إيطالي- وهو يحاضر في السوربون أمام الضباط الفرنسيين حول موضوع: "الأخوة الشاملة والبطولات الشعبية".(1)

1 Djillali Sari, Op.cit , p 02.

ملحق رقم 03:

خريطة تمثل مسيرة العقيد إينوسنتي[1]

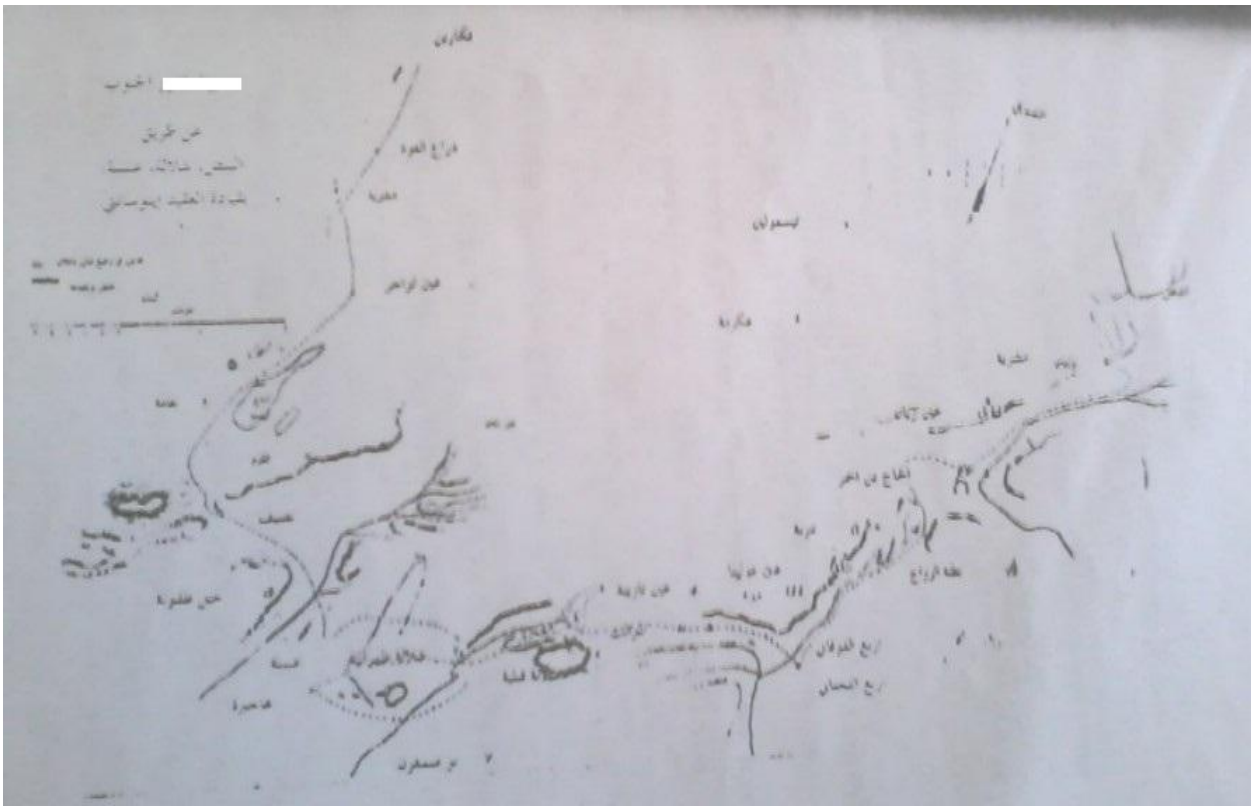

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ...، ص 335.

ملحق رقم 04:

منطقة الجنوب الغربي أثناء المرحلة الأولى من المقاومة[1]

[1] عبد الحميد زوزو، ثورة ...،ج1، ص 19.

ملحق رقم 05:

خريطة تمثل مسيرة بوعمامة وملاحقة الطوابير الفرنسية له[1]

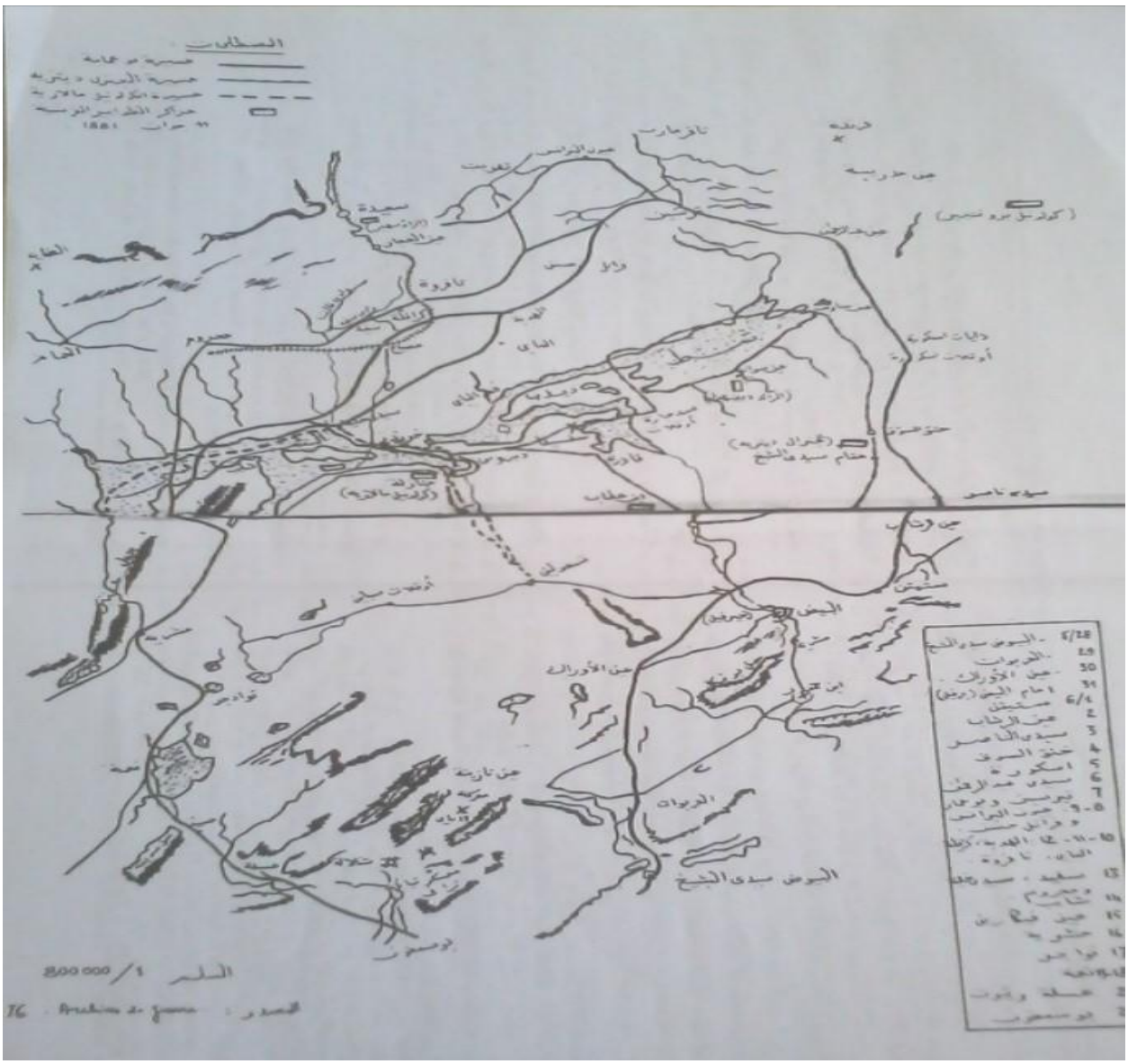

[1] عبد الحميد زوزو، أضواء ...، ص 90.

ملحق رقم 06:

رسالة من بوعمامة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية في 26 أفريل 1888

الحمد لله وحده هذه نسخة جواب

الطابع خديم اهل الله ابي عمامة بن العربي امنه الله آمين الدايرة متاعت الطابع لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جواب

الى المعظم حاكم بيروا غرداية وساير عمالتها السلام عليك، اما بعد كيف بك يا عجابة تفعل الشر فيمن ينسب علينا. واحنا واياك في الخير التام. وكل من ينسب عليك وسمعنا به نفرحوا به ان أقدم نحونا ونتهلوا فيه، ولا يرى في نواحنا الا الخير ، يأكل ويشرب حتى يرجع ليك في الأمان. وقد اتونا الشعانبة مرارا بعد مرارا. وقد علمنا بهم بأنك رسلتهم، ولا فعلنا معاهم الا الخير، وكذلك الحاج محمد ولد سيدي الحاج عيسى الطبيب وصاحبه اليعقوبي خليفة القايد متاعهم وامثالهم من الناس الذين يأتون من ايالتك، واحنا ناس مسكين ولا نحب الخلاط. وقد سكنا تلك البلاد الا من اجل لانحب الخلاط. لأن ناسها مساكين وهي ضعيفة كما علمت. وقد رسلت لك بجمع بن عبد الرحمن، وقد رسلت له امهارة يقتلوه، وكذلك رساته مرة اخرى وردته الناس، ورجع هاربا. أما احنا رانا في ثنية تردها الناس ويقدم عندنا كل واحد من سرحته لها يقضى مصالحه ويرجع سالما ولا تعرض له، وانت راك تقبض من ينسب علينا ومن وصلنا، واخذت رأي الشياطين والخلاطين، واليوم تقبض عشرة تهرب مائية. واما احنا ما عندنا حبيب الا الكاذبين الذين يبغون الخلاط ينوظ، يقوضون بيننا وبينك لكي ينوض اشواش. واليوم انت حين راك تفعل هذا الامر بانك حبيت الخلاط. وانا لا نتبعوك فيه، ونعلموا بك الحكام الكبار الذي بيننا وبينهم الكلام. وما علمناك بهذا الكلام الا نحب الهناء والعافية وقلت التشواش، واما

انت الى دمت في هذا الامر تقبض من من ينسب علينا بالكذب وتأخذ رأي الخلاطين فتهرب الناس وينوظ التشواش وتحسبه علينا. وانت الذي فعلته لان الاعتراض على الكذب والمسامحة تدوم العافية والهناء في الطاعة، واحنا لا نفعلوا شيء. لاكن رانا نعلموا الحكام الكبار. والسلام عن اذن ابى عمامة بن العربي.

بن الحرمة ءامنه الله ءامين[1].

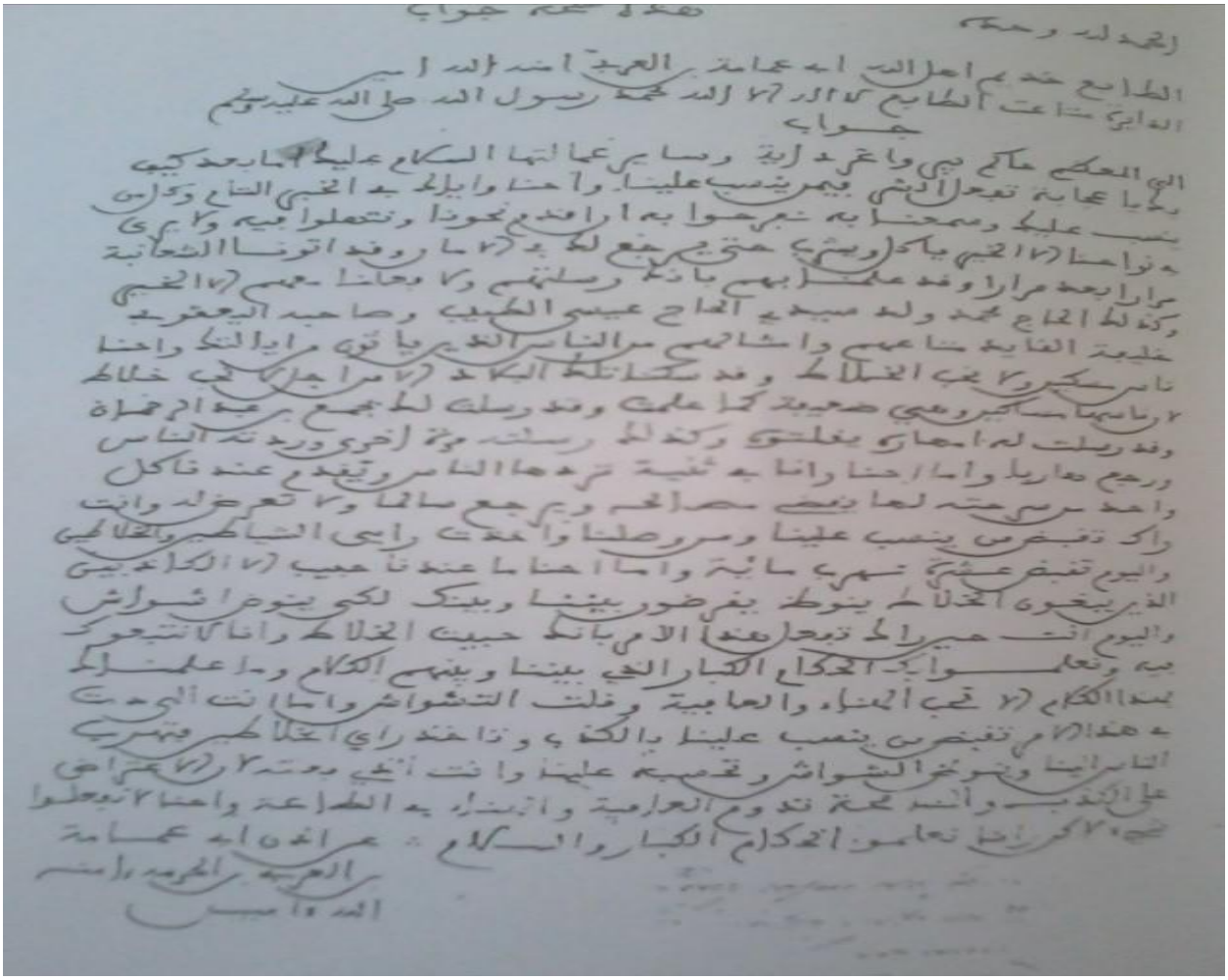

[1] عبد الحميد زوزو، ثورة ...، ج2، ص 49- 50.

ملحق رقم 07:

رسالة من بوعمامة إلى سي قدور بن حمزة – رئيس أولاد سيدي الشيخ الشراقة

بتاريخ (ماي – جوان 1888)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله على سلامتكم وعفياتكم، والحمد لله على هذه السعة التي انتم فيها هانيين. اخينا سيد قدور بن سيدنا حمزة. وعليك السلام والرحمة والبركات تعمك وتعم جميع من هو منك فاليك. اعلمك الله خير وعافية فان الابرابر متقاتلين بيهم ايات واحليم. والمخزن عندهم. وكذالك المخزن عند سيد محمد العرب من اجل الكفار قالوا لمولى الحسان لا نومين في سيد محمد العربي الا اذا اتضمنه أنه متفق مع سيد قدور بن حمزة وابو عمامة لا بد لك ان تضمنه، فصرف له المخزن ستين عود باقية عنده. ومولى الحسان ازال باساقيت الحمو وولد موسى ازال في العداوت مع الصلطان على سد محمد بن عبد الله القندصي صرف له الصلطان بالقدوم فأب، وبقي حتى سمع بان الصلطان قدم حارك لساقية المذكورة، وقدم الافكر وبات عند امقدم له ورجع هارب. والمخزن لناحية قير وقال لذو منيع اني سمعتكم تتصوقو مع الكفار، كفوا ايديكم حتى يتى الصلطان عنده القدوم لنحية تفلالت. وذو منيع مختلفين وكذلك اولد اخرير مخيليفين على بال اولاد بلقيز. والدنيا هاين لا ما يشوش البال، وسمعنا بان بيديك بطاقة لنا اني صرفت الكفار لكي نوسخوك معهم، لكن هل هي من عند والا لي بها علم، فاعلم وحقق الشفعت لي في محمد وهوبرء منى وانا بارء منه، لا نرضو بذلك يكن بين المسلمين، وكيف نرضو بالكفار يتضر بوحد منا، فحاش ولله، ولا تجعلها في قلبك سوى اذا صدر شيء من جهة راجل كان عندى منذ سنين والعام الماضي فرقني، وكنت نصرفه للمصالح ونطبعله في الكاغط بلا كتبت، وطبعت له في العام الماضي الذي فرقاني فيه اثن عشار طابع كان قادم لنحية

ابنجيل مع الامهاية، ولم يرجع لي الا الآن. هل لتبت على لسانى لا ادر. ونحن ناس مساكين لا نضرو بالهلك لا لك ولا لغيرك، والله مطلع على ما في القلوب، وأباك عبد القادر بن محمد يتولى من كان يريد الهلك لكافت الاسلام. وسلام من ابى عمامة بن الحرمة. وهذه الخبار اتونا بها الابرار كانة بيع الغلم[2].

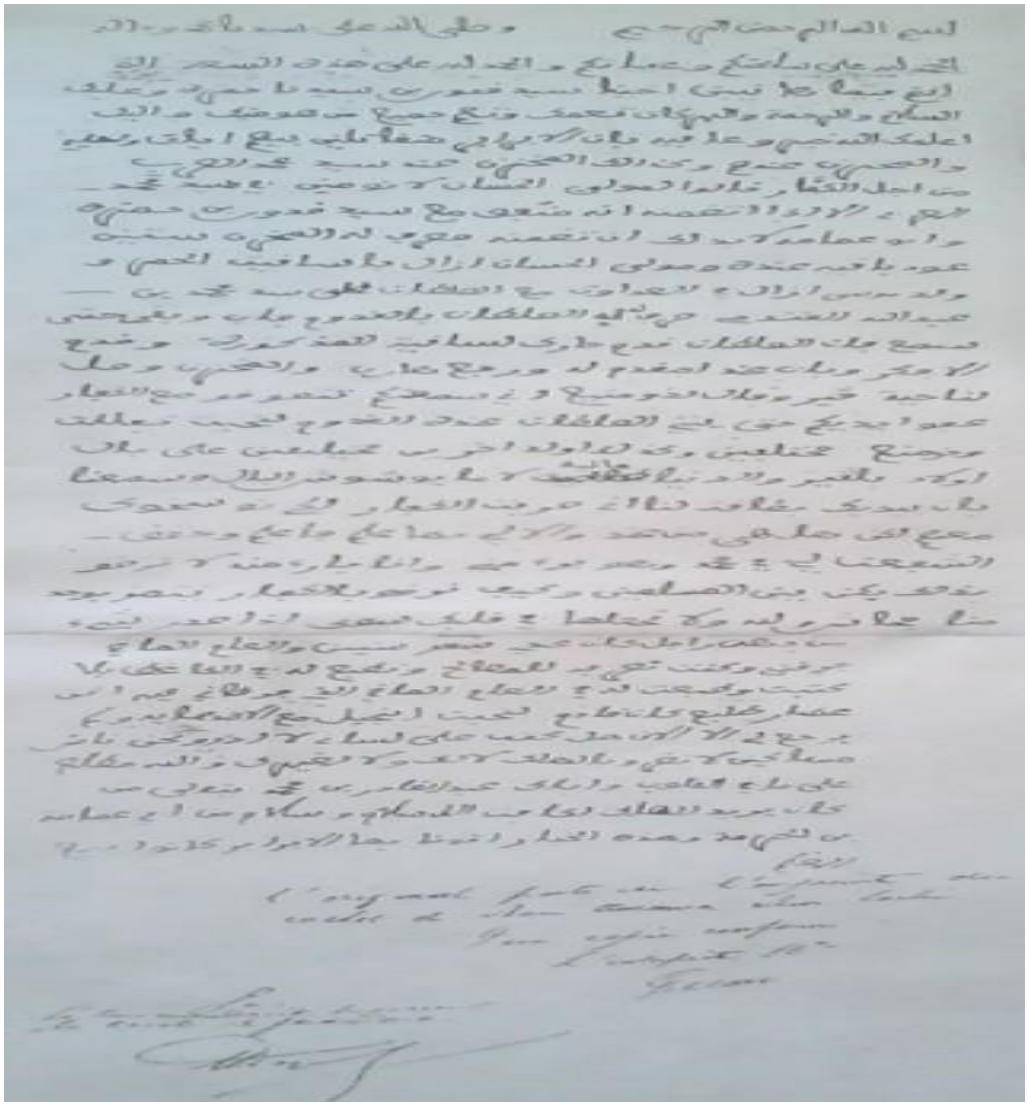

[2] عبد الحميد زوزو، ثورة ...، ج2، ص ص 53- 54.

ملحق رقم 08:

ضريح الشيخ بوعمامة بعيون سيدي ملوك بنواحي وجدة[1]

[1] عبد القادر خليفي، المقاومة ...، ص 214.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1/ المصادر:

أ- بالعربية:

1- بن عودة المزاري إسماعيل، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م**، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009.

2- بلعالم محمد باي، **إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فُلاّن في جنوب الجزائر**، (ب، د، ن)، الجزائر، 1433هـ.

3- العياشي أبو سالم عبد الله، **الرحلة العياشية 1661- 1663**،ج1، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

4- الراشدي أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، **القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط**، ترجمة: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

ب/ بالأجنبية:

1- Le Marechal, Duc de dalmatie, **Le Sahara Algerien (Géographique , Statiques et historique),** langlois et leclercq, fortin, Masson et C, paris, 1845.

2/ المراجع:

أ- بالعربية:

1- الأشرف مصطفى، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة: حنفي بن عيسى ، دار القصبة، الجزائر 2007.

2- بوحوص مالك، **ثورة أولاد سيدي الشيخ**، دار الغرب للنشر، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن).

3- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.

4- بوعزيز يحي، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20م**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

5- بوعزيز يحي، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2007.

6- بورنان سعيد، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830- 1962**، ط2، دار الهلال، الجزائر، 2001.

7- بلغيث محمد الأمين، **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق**، دار البلاغ، الجزائر،2011

8- بلاح بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1889**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

9- بن داهة عدة، **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر** 1830- 1962، ج1، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008.

10- بن منصور عبد الوهاب، **أعلام الجزائر العربي**، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.

11- بن نادر الطيب، **الجزائر حضارة وتاريخ**، دار الهدى، الجزائر، 2008.

12- بسايح بوعلام، **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830- 1954**، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

13- بقطاش خديجة، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830- 1871**، مطبعة دحلب، الجزائر، (ب، س، ن).

14- وزارة المجاهدين، **مدخل في تاريخ ولاية البيض بين المقاومة الشعبية وأهم المعارك الكبرى لجيش التحرير**، (ب، د، ن)، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن).

15- ولد الشريف محمد الحسين، **من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال 1830- 1962**، دار القصبة، الجزائر، 2010.

16- زوزو عبد الحميد، ثورة **بوعمامة 1881- 1908 (جانبها العسكري 1881- 1883)**، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2010.

17- زوزو عبد الحميد، **ثورة بوعمامة 1881- 1908 (جانها السياسي 1883- 1908)**، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2010.

18- زوزو عبد الحميد، **محطات من تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)**، دار هومه، الجزائر، 2011.

19- زوزو عبد الحميد، **المرجعيات التاريخية الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)**، دار هومة، الجزائر، 2009.

20- حوتية محمد الصالح، **توات والأزواد**، ج1، دار الكتاب الغربي، الجزائر، 2007.

21- حوتية محمد الصالح، **توات والأزواد**، ج2، دار الكتاب الغربي، الجزائر، 2007.

22- حلوش عبد القادر، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، 2010.

23- حليمي عبد القادر، **جغرافية الجزائر(طبيعية، بشرية، اقتصادية)**، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1968.

24- كاشة الفرحي بشير، **مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962**، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2007.

25- المدني أحمد توفيق، **أبطال المقاومة الجزائرية ويليه جغرافية القطر الجزائري**، المجلد التاسع، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

26- مياسي إبراهيم، توسع **الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

27- مياسي إبراهيم، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ط$_2$، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

28- مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934**، دار هومة، الجزائر، 2005.

29- مياسي إبراهيم، **المقاومة الشعبية**، دار مدني، الجزائر، 2009.

30- منور العربي، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م**، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

31- مقلاتي عبد الله، **في جذور الثورة الجزائرية**، دار الثقافة، الجزائر، 2010.

32- مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، الشروق للنشر، (ب، ب، ن)، 2009.

33- مرتاض عبد المالك، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830- 1962(رصد لصور المقاومة في النثر الفني)**، ج$_1$، دار هومة الجزائر، 2009.

34- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج$_4$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

35- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860- 1900**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

36- سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982.

37- سعدي عثمان، **الجزائر في التاريخ**، دار الأمة، الجزائر، 2013.

38- سعيدوني ناصر الدين، **الجزائر منطلقات وآفاق ومقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، عالم المعرفة، الجزائر، 2008.

39- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

40- عوض صالح، **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر 1830- 1962**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1989.

41- عيساوي محمد، نبيل شريخي، **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830- 1871**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

42- عمورة عمار، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، الجزائر، 2002.

43- عميراي حميدة، زاوية سليم، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916**، دار الهدى، الجزائر، 2009.

44- عميراي حميدة، زاوية سليم، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2007.

45- عميراي حميدة، زاوية سليم، **من تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004.

46- العسكري إبراهيم، **لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية**، دار البعث، الجزائر، 1992.

47- العقبي صلاح مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، الجزائر،2009.

48- العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

49- فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين 18 و19م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

50- الصديق محمد الصالح، **كيف ننسى وهذه جرائمهم**، دار هومة، الجزائر، 2009.

51- قداش محفوظ، **جزائر الجزائريين**، ترجمة: محمد المعرابي، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2008.

52- قليل عمار، **ملحمة الجزائر الجديدة**، ج1، دار البعث، الجزائر، 1991.

53- شافو رضوان، **جوانب من السياسة الإستعمارية بالصحراء الجزائرية من خلال تقارير السلطة الفرنسية والوثائق الأرشيفية**، دار قانة، الجزائر، 2014.

54- شريط عبد الله، محمد الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

55- تميم آسيا، **الشخصيات الجزائرية(100 شخصية تاريخية وفكرية)**، دار المسك، الجزائر، 2008.

56- خليفي عبد القادر، **الطريقة الشيخية**، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ط2، الجزائر، 2010.

57- خليفي عبد القادر، **محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830- 1962**، ديوان المطبوعات الجزائرية، (ب، ب، ن)، 2010.

58- خليفي عبد القادر، **المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

ب/ بالأجنبية:

1_ Akkache Ahmed, **La Resistance Algérienne de 1845-1945,** SNED, Alger, 1972.

2_ Djilali Sari, L insurrection de1881-1882, Société national d'édition et de Diffusion, Alger, 1981.

3_ Robert Ageron Charles, **Les Algérien Musulmans et la France 1871-1919**, Paris, puf, 1968.

3/ المجلات والدوريات:

1- بوسعد الطيب، **الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات،ع15، المركز الجامعي لغرداية، الجزائر، 2011.

2- بوعزيز يحي، **أضواء على ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني1881- 1908**، مجلة الثقافة، ع68، الجزائر، 1982.

3- بوعزيز يحي، **اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء**، مجلة الثقافة، ع57، الشركة الوطنية، الجزائر، 1980.

4- بوعزيز يحي، **اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء**، مجلة الثقافة، ع58، الشركة الوطنية، الجزائر، 1980.

5- بوعزيز يحي، **اهتمامات الفرنسيين بالطوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه**، مجلة الأصالة، ع72، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1979.

6- بن خويا إدريس، **البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة**، مجلة سلسلة القوافل العلمية(القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية)، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

7- جيلالي صاري، **ثورة 1881- 1883**، مجلة الأصالة، ع87-88، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

8- زوزو عبد الحميد، **أضواء على ثورة بوعمامة**، مجلة الأصالة، ع31، وزارة التعليم والشؤون الدينية، الجزائر، 1976.

9- مياسي إبراهيم، **ثورة أولاد سيدي الشيخ**، مجلة الذاكرة، ع3، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1995.

10- مياسي إبراهيم، **دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للشيخ للتوسع الاستعماري**، مجلة المصادر، ع1، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن).

11- مقلاتي عبد الله، صالح لميش، **البعد الثوري للطريقة الشيخية ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي**، مجلة سلسلة القوافل العلمية(القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية)، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

12- مريوش أحمد، **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916**، مجلة المصادر، ع11، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن).

13- سرقمة عاشور، **الطريقة الشيخية بمنطقة متليلي الشعانبة**، مجلة سلسلة القوافل العلمية (القيم الروحية والرؤية الوطنية في الطريقة الشيخية)، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

14- خليفي عبد القادر، **موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع12، الجزائر، 2002.

15- خليفي عبد القادر، **صور الشيخ بوعمامة في المأثور الشعبي**، مجلة المصادر، ع1 ،(ب، د، ن)، (ب، ب، ن)، (ب، س، ن).

16- خليفي عبد القادر، **الطريقة الشيخية (أصولها وأذكارها وانتشارها)**، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2011.

17- خليفي عبد القادر، **إستمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع15، دار الهدى، الجزائر، 2004.

4/ الرسائل الجامعية:

1- جراية محمد رشدي، **الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2007- 2008.

2- داوس أحمد، **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين (مقاربة سوسيوثقافية)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارن، شعبة أدب الرحلة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2007-2008.

3- شلبي شهرزاد، **ثورة واحة العمري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن 19م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009.

5/ القواميس والمعاجم:

1- بوصفصاف عبد الكريم وآخرون، **معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و20**،ج1، دار الهدى، الجزائر، 2002.

2- شرفي عاشور، **معلمة الجزائر(القاموس الموسوعي)**، دار القصبة، الجزائر،(ب، س، ن).

5/ الملتقيات:

1- وزارة المجاهدين، **أعمال الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية**، الجزائر، 2007.

2- وزارة المجاهدين، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية(دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، (ب، س، ن).

6/ الموسوعات:

1- بن نعيمة عبد المجيد، **موسوعة أعلام الجزائر 1830- 1954**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء.....

شكر وعرفان.....

قائمة المختصرات.....

مقدمة.....أ- و

تمهيد.....7

الفصل الأول: الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري.....14

المبحث الثاني: دوافع الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري.....20

المبحث الثالث: المشاريع التوسعية الاستعمارية بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري.....26

المبحث الرابع: أوضاع منطقة الجنوب الغربي الجزائري قبل 1881.....34

الفصل الثاني: شخصية الشيخ بوعمامة

المبحث الأول: مولده ونسبه.....40

المبحث الثاني: نشأته ومكانته بين القبائل.....43

المبحث الثالث: نظرة بعض المعاصرين للشيخ بوعمامة.....53

الفصل الثالث: مقاومة بوعمامة 1881- 1908

المبحث الأول: أسباب اندلاع مقاومة بوعمامة.....58

المبحث الثاني: التحضير للثورة.....63

المبحث الثالث: مراحل المقاومة.....65

1/ المرحلة العسكرية 1881- 1883 65

أ- معركة مولاق.....68

ب- مسيرة بوعمامة نحو التل(الشمال).....73

ج- أحداث بقية المرحلة الأولى.....75

2/ المرحلة السياسية 1883- 1908.....79

أ- إلتجاء الشيخ بوعمامة لمنطقة دلدول.....80

ب- تحالف الشيخ بوعمامة مع الروقي/ بوحمارة.....83

ج- نهاية الشيخ بوعمامة.....85

المبحث الرابع: عوامل فشل المقاومة ونتائجها.....86

1/ عوامل فشل المقاومة.....86

2/ نتائجها.....88

الخاتمة.....93

الملاحق.....98

قائمة المصادر والمراجع.....109

فهرس المحتويات.....119